الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة المسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

العنوان

الفضاء في روايـة
" مذنبــون لون دمهم في كفي"
للحبيب السائح

مذكــرة مقدمة لنيـــل شهـــادة الماستـــر

فرع : أدب عربي .
تخصص : أدب جزائري

إعداد الطالبة :
❖ سمية سعودي

إشراف الأستــاذة:
❖ جميلة روباش

السنـــة الجامعيـــة: 2013/2012

كلمة الشكر :

قال الله تعالى :<< ولئن شكرتم لأزيدنكم >> .

اللهم لك الحمد حتى ترضى وحين الرضا، ولك الحمد إذا رضيت، الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، فأحمده سبحانه وتعالى على توفيقه لي لإنجاز هذا العمل.

– إني وأنا أضع اللمسات الأخيرة على هذا العمل لا يسعني إلاّ أن :

– أتوجه بالشكر الجزيل والإمتنان العظيم للأستاذة المشرفة المحترمة :

روباش جميلة

.. لتوجيهاتها القيمة ونصائحها ومساعداتها، وحسن معاملتها لي فكانت نعم المرشد والموجه.

– كما يملي واجب الإعتراف بالفضل وشُكر كل من قدم لي يد العون من أجل إكمال هذا العمل حتى يكون مفيدا ونافعا.

– كل من ساهم معي من قريب وبعيد.

كما أبعث أكاليل الحب والشكر والعرفان إلى :

أساتذتنا الأفاضل بكلية الآداب وأخص بالذكر أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها، وأدامهم الله ذخرًا وعونًا للجميع.

– كما أقدم تحيتي وشكري لعمال مقهى الأنترنتعلى مجهوداتهم القيمة.

مقدمــة :

– إن اختيار رواية (مذنبون) للحبيب السائح من أجل مقاربة الفضاء الروائي فيها، لا يسلب باقي الأعمال الروائية التي إهتمت بالفضاء قيمتها التمثيلية، لقد أهمل الفضاء من قبل النقد لالتباسه بالمكان الواقعي،حيث ظل لفترة طويلة خاضعا للقراءة الساذجة، لأن المبدع التقليدي اهتم بوصف المكان والمبالغة في تحديده وتعيينه ،وذلك بغية محاكاة الواقع ومطابقته ، وقد حقق الفضاء مع الرواية الجديدة تخلصه من الإسهابات الوصفية التي سلبته وظيفته ، فحقق تقدما مكنه من احتلال مركز هام في البناء السردي، وأثبت حضوره كبنية وكدور وظيفي لا تزييني وكمساهم في الخلق الفني.

– وظل النظر إلى الفضاء الروائي باعتباره مرتبطا بما هو مرجعي إلى ان حقق قفزة نوعية بفضل الدراسات الشعرية والبنيوية الحديثة التي استطاعت الحد من اللبس بالإضافة إلى ذلك ، فإن هناك عوامل اخرى أسهمت في الانتباه إلى الفضاء الروائيوالاهتمام به، وتتمثل في تطور الدراسات الأنثروبولوجية والاكتشافات العلمية وغزو الفضاء الخارجي، والحرب العالمية والاستعمار الذيغير الخرائط وغيرها من الامور التي اهتمت بالفضاء ، الشيء الذي جعل الروائيين لا يظلون خارج التجربة، فأصبح الفضاء مثيرا لاهتمامهم، وتمثلوه بطرق مختلفة فلم يعد مجرد مؤطر للأحداث والشخصيات، وانماأصبح مركز لصراع هذه الشخصيات ومؤثرا فيها ومتأثرا بها ومولدا للأحداث ومرتبطا ارتباطا وثيقا بزمنية الحكي ، فأسهم في صيرورة السرد، وخضع للتوجهات الفكرية والجمالية للمبدع، فاستحضر بطرق مختلفة فقد يكون واقعيا أو خياليا ، والاشكالية المطروحة هي هل يؤدي المكان الروائي فقط وظيفة ديكور للأحداث، أم أنه يتجاوز ذلك إلى لعب العامل المهم في تطور الحكاية ؟

– لقد أصبحت الرواية الجزائرية الجديدة تهتم بمكونات نصية كانت منذ عقدين من الزمن فقط مهمشة ولا يعار لها الاهتمام الكافي، ومن هذه المكونات الفضاء الروائي ، ومن دواعي البحث في هذا الموضوع استوقفني وجود الفضاء في رواية (مذنبون) الشيء

الذي حفزني على قراءته كمشروع بحث ، ويعود تركيزي على هذا الموضوع إلى عدة عوامل منها :

ملاحظتي ضعف وجود الفضاء في معظم التحقيقات الروائية العربية إلى جانب كون الفضاء الروائي لم يعد مؤطرا للأحداث والشخصيات كما كان الأمر في الرواية التقليدية وإنما اصبح مكونا أساسيا في البنية الحكائية.

– حيث يمثل ارتباطه بباقي مكونات الخطاب وأشكال الحكي موضوعا جديدا بالبحث والمتابعة ، وهناك عامل آخر وهو وقوفي أثناء التحليل على الغبن الذي لحق مكون الفضاء الروائي من قبل النقاد ، وخاصة أن هذا المكون اصبح يفرض نفسه نتيجة هيمنته في بعض التحقيقات النصية، أما عن الأهداف التي ركزت عليها : فيمكن إجمالها في النقط التالية : السعي إلى رصد مختلف مظاهرالفضاء الفنية وأبعادها الجمالية التي يزخر بها النص الروائي ، والوقوف على طرق تبنين الفضاء وكيفية ارتباطه بباقي المكونات الحكائية الأخرى ، اضافة إلى ندرة الدراسات المواكبة لهيمنة الفضاء الروائي في بعض التحقيقات النصية كما تهدف هذه المقاربة إلى كشف الانزياح الذي حققته رواية (مذنبون) على مستوى الفضاء الروائي مقارنة بالرواية التقليدية

فقصدت من وراء مقاربة الفضاء، استيعاب مرامي الرواية الدلالية والجمالية على السواء وذلك بهدف ابراز قيمة الجنس الروائي العربي وخصوصيته.

. أما المنهج المعتمد في هذه الدراسة فهو المنهج البنيوي، كما أننيأجد البحث ينتظم في ثلاثة فصول أولها "ماهية الفضاء " والثاني "اشكالية الفضاء" والثالث "تجليات الفضاء في رواية مذنبون" وقد عملت على تجزئة هذه الفصول إلى نقط فرعية لكي أناقش من خلالها الإشكاليات التي تطرحها وجعلت لها مقدمة ثم أنهيت البحث بخاتمة حرصت فيها على تسجيل أهم النتائج التي توصلت إليها، سواء تعلق الامر بخصوصية الفضاء في الرواية الجزائرية الجديدة بصفة خاصة أو بالرواية العربية الجديدة بصفة عامة ، وطرح أسئلة

إضافة إلي طرح الصعوبات التي تعرفها شعرية الفضاء الروائي باعتبارها نظرية لم تكتمل بعد ، وفهرسا للمراجع التي استفاد منها البحث وختمت بفهرس للموضوعات.

وبعد استيفائي لعناصر البحث التي تظل قاصرة عما كنتأبتغي الوصول إليه ، وبما أن الفضاء الروائي يعتبر فضاء اشكاليا يطرح العديد من المطبات أمام الباحث فإن بعضها اعترض سبيلي ومنها :

–التباس مفهوم الفضاء الروائي وشساعته وعدم تمكن المنظرين من الاطاحة به وتشكيل نظرية متكاملة عنه بالإضافة إلى عدم توفر الدراسات الكافية للاستئناس بها في هذا المجال، إضافة إلى قلة المراجع ، واعتمدت على عدة مراجع منها : بنية النص السردي لحميد حميداني : حورية الظل في الفضاء فيالرواية العربية الجديدة ، بنية الشكل الروائي لحسن بحراوي، وغيرها من المراجع الاخرى .

الفصل الأول: ماهية الفضاء

- تعريف الفضاء
- أنواع الفضاء
- علاقة الفضاء بالوصف

أ / – تعريف الفضاء :

1) – لغة :

– **الفضاء** : المكان الواسع من الأرض ، والفعل فَضَا يَفضُوا فُضُوّا فهو فاضٍ ، وفَضَا المكان وأفْضى إذا إتسع وأفْضَى فلان أي وَصَلَ إليه وأصله أنه صار في فُرجتهِ وفضائه وحيزه . والفضاء : الخالي ، الفارغ ، الواسع من الأرض ، والفضاء : الساحة وما إتسع من الأرض ، يقال أفضَيت اذ خرجت إلى الفضاء وأفضَيت إلى فلان بسرى .

– **الفضاء** : ما استوى من الأرض واتّسع ، وجمعه أفضية . (1)

– أما المنجد فيذهب إلى المعاني نفسها من الاتساع والخلاء ، فضا فضاء المكان واتسع ، وفضوًالشجر بالمكان : كثر يقال مكان فضاء أي واسع .(2)

– وفي تاج العروس ينصرف المعنى إلى الاتساع أيضا ، فالفضاء : الساحة وإتسع من الأرض حيث يستشهد في ذلك بقول الراغب : المكان الواسع وقول شمير : هو ما إستوى من الأرض ، واتسع ، وقول أبو علي القالي : الفضاء السعة ، ومنه المفْضاة والمفضَى : المتسع . (3)

2) – اصطلاحا :

– يقارن مطاع صفدي بين الفضاء والمكان بقوله : "أن المكان في امتداد الأرض ، فهو كل ما يوطأ ويستقر عليه ، إنه الثبات وبالتالي يصبح المكان حاملا للأشياء وهو يمكنه أن يضمها ، في حين أن الفضاء بالمفهوم الغربي يتسم بالتجريد ، فإن الفضاء في اللغة العربية مرتبط بالمكان في إنغلاقيته أي ذلك المكان الفيزيقي الذي تتموضع فيه الأشياء المدركة مباشرة عن طريق الحواس قبل أن يستقر مفهومه على الخلاء أو الخلو من المكان ، فالمكان أصله الأرض ، وعندما يتجرد يصبح الفضاء" . (4)

---

(1) ـ ينظر،ابن منظور : لسان العرب : المجلد 7 ، دار الحديث ـ القاهرة ، ص 122 .
(2) ـ ينظر، المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق ، بيروت ، ط4 ، 2003 ، ص 587 .
(3) ـ محمد الحسيني الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس المجلد (20) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2007 ، ص117 .
(4) ـ حورية الظل : الفضاء في الرواية العربية الجديدة ، "مخلوقات الأشواق الطائرة" لإدوارد الخراط نموذجا ، دار نينوى ، سورية ـ دمشق ، د ، ط 1432هـ - 2011م ، ص 25 .

– فبخصوص المقارنة بين الفضاء والمكان الروائيين فإن : "الفضاء في الرواية أوسع ، وأشمل من المكان ، إنه مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية المتمثلة في سيرورة الحكي ، سواء تلك التي تم تصويرها بشكل مباشر ، أم تلكالتي تدرك بالضرورة ، وبطريقة ضمنية مع كل حركة حكائية ، ثم إن الخط التطوري الزمني ضروري لإدراك فضائية الرواية بخلاف المكان المحدد ، فادراكه ليس مشروطا بالسيرورة الزمنية ".(1)

– كما أن الأبحاث المتعلقة بدراسة الفضاء في الحكي تعتبر حديثة العهد ، حيث أنها أبحاث لاتزال في بداية الطريق ، فالدراسات الموجودة حول الفضاء لاتقدم مفهوما واحدا للفضاء ، فمنها ما يقدم تصورين أو ثلاثة ومنها ما يقتصر على تصور واحد ، فيفهم الفضاء على أنه الحيز المكاني في الرواية ويطلق عليه عادة الفضاء الجغرافي (lespace geographique) فالروائي يقدم دائما حدا أدنى من الإشارات الجغرافية التي تشكل فقط نقطة إنطلاق من أجل تحقيق استكشافات منهجية للأماكن .(2)

– فالفضاء هنا هو معادل لمفهوم المكان في الرواية ، ولا يُقصد به المكان الذي تشغله الأحرف الطباعية التي كُتبت بها الرواية ، ولكن ذلك المكان الذي تصوره قصتُها المتخيلة(3)

– الفضاء الروائي والمكان الروائي مصطلحان بينهما صلة وثيقة وإن كان مفهومها مختلفا ، فالمكان الروائي حين يُطلق من أي قيد يدل على المكان داخل الرواية سواء كان مكانا واحدا أم أمكنة عدّة ، ولكننا حين نضع مصطلح المكان في مقابل مصطلح الفضاء بغية التمييز بين مفهومهما ، فإننا نقصد بالمكان المكان الروائي المفرد ليس غير، ونقصدبالفضاء الروائي أمكنة الرواية جميعها ، بيد أن دلالة مفهوم الفضاء لاتقتصر علىمجموع الأمكنة في الرواية ، بل تتسع لتشمل الإيقاع المُنظم للحوادث التي تقع في هذه الأمكنة ولوجهات نظر الشخصيات فيها ، ومن ثم فمصطلح الفضاء أكثر شمولا واتساعا من مصطلح المكان . (4)

– كما اتجهت الدراسة الفضائية لتحديد الفضاء عن طريق ما يخلقه من تمايز بينه وبين المكان ، مما جعل الناقد سعيد يقطين يهتم بالفوارق التي تتشكل بين المصطلحين ،

(1) ـ ينظر، حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ، نشر المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1990 ، ص28 .
(2) ـ ينظر، حميد لحميداني : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، ط3 ، 2006 ، ص53 .
(3) ـ ينظر ،المرجع نفسه ، ص54 .
(4) ـ ينظر ،سمر روحي الفيصل ، الرواية العربية ـ البناء و الرُّؤيا ـ مقاربات نقدية ، من منشورات اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، د ، ط ، 2003 ، ص74 .

المكان والفضاء ، فيقول : "إن الفضاء أعم من المكان لأنه يشير إلى ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي" .(1)

– إذ اجتمع لدينا مما سبق أن المكان يتحدد بأبعاد مادية ، أما الحيز فيتمظهر من تواجد حدود وفواصل معينة مهما اتسعت حدوده ، بينما الفضاء هو كل مكان فاض لاتحده حدود ولاتربطه قيود على عكس ما هو عليه الحيز ، إذ يرى غريماس : "أنه الشيء المبنى المحتوى على عناصر متقطعة إنطلاقا من الإمتداد المتصور ، هو على أنه بعد كامل ممتلئ" .(2)

– وبعض الدراسات تقول بأن مجموع الأمكنة يمكن أن يطلق عليها من الوجهة المنطقية إسم (الفضاء) لأن الفضاء أشمل وأوسع من الدلالة الثابتة للمكان ، وتأتي الأمكنة لتجد لها حيزا فهي : "جزر في الفضاء ، أكوان صغرى منفصلة" . وبهذا المعنى يعد المكان مكونا من مكونات الفضاء : "فالفضاء بحاجة على الدوام للمكان" . ويتسع الفضاء ليشمل العلاقات المكانية أو العلاقات بين الأمكنة والشخصيات والأحداث :"فالفضاء ليس فقط المكان الذي تجري فيه المغامرة المحكية ، ولكن أيضا أحد العناصر الفاعلة في تلك المغامرة نفسها" ، فالفضاء أوسع من المكان وأشمل ، إنه مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة القصصية المتمثلة في سيرورة الحكي ، أو تلك التي تصور بشكل مباشر أو التي تدرك بطريقة ضمنية مع كل حركة حكائية . (3)

– كما أنه أُصطلح على المكان الذي تجري فيه الأحداث . المكان الأصل . بمصطلح الفضاء الخارجي (Espace heterotopique) وهو عادة ما يكون نقطة إنطلاق وعودة البطل إليه في النهاية .(4)

– في حين شُهد للفضاء بالقدرة على الإختراق حيث تتلاشى فيه الأشياء وتتصهر ، فيتجاوز بذلك وظيفته الأولية في المكان . بوصفه مكانا لوقوع الأحداث . إلى فضاء يتسع

(1) ـ سعيد يقطين : قال الراوي ، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1997 ، ص237 .

(2) ـ عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، مجلة عالم المعرفة ، شعبان 1419 هـ ، ديسمبر / كانون الأول ، 1998 ، ص142 .

(3) ـ أوريدة عبود : المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية ـ دراسة بنيوية لنفوس ثائرة ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، دط ، ص 40 - 41 .

(4) ـ نادية بوشفرة : مباحث في السيميائية السردية ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، المدينة الجديدة ـ تيزي وزو ، دط ، 2008 ص 114 - 115 .

لبنية الرواية ويؤثر فيها على حد رأي أحدهم ، "فهو كل معقد لايمكنهإختزاله إلى مجرد وصف للأمكنة" .(1)

– ومنهم من اعتمد على ما تعرضه مختلف الشروح لتلك المفاهيم السابقة لتحديد المصطلح الفضاء مستنتجا أن "الفضاء (space) هو الكلي ، وأن المكان (place) هو الجزئي وأن الموضع (location) هو الأكثر جزئية والأكثر تحديدا"

ثم يعرض رسما تشكيليا لذلك .(2)

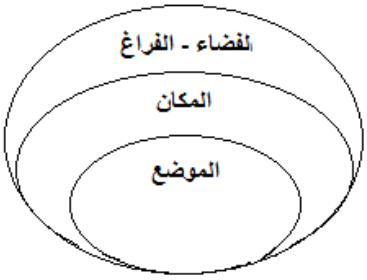

–إن الموضع يتمثل في المكان الجزئي الذي يجري انتقاؤه من بين الأجزاء الكثيرة والمتنوعة بينما المكان هو الأكثر سعة كالقرية والمدينة ، أما الفضاء هو المعطى الذي يحتوي الأماكن ويحيط بها بينما يقترن الفراغ بوجود الأشياء والموضوعات فالمكان الخالي من الأشياء هو الذي نطلق عليه فراغا أو خلاء .(3)

– فالفضاء هو المساحة المكانية :"والمكان لا يظهر إلا من خلال وجهة نظر شخصية تعيش فيه أو تخترقه وليس لديه إستقلال إزاء الشخصية التي يندرج فيه" ، فالمكان بهذا المفهوم يتحول إلى شبكة من العلاقات والروايات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث .

–ومن هنا يمكن القول أن المكان هو مكون الفضاء ولما كان هذا المكان دوما متعدد الأوجه والأشكال فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعا ، إنه الأفق الرحب الذي يجمع جميع الأحداث الروائية .(4)

(1) ـ صالح ابراهيم : الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2003 ، ص9 .
(2) ـ ينظر،طاهر عبد مسلم : عبقرية الصورة والمكان ، التعبير ، التأويل ، النقد ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2002 ، ص24 .
(3) ـ ينظر، عبد المالك مرتاض : نظرية النص الدبي ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط، 2007 ، ص295 .
(4) ـ ينظر،ابراهيم عباس : الرواية المغاربية ، تشكل النص السردي في ضوء البعد الأيديولوجي ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، ط1 ، 2005 ، ص217 .

- إن الرواية مهما قلص الكاتب مكانها تفتح الطريق دائما لخلق أمكنة أخرى ،ولو كان ذلك في المجال الفكري لإبطالها ، إن مجموع هذه الأمكنة هو ما يبدو منطقيا أن نطلق عليه إسم : فضاء الرواية لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء ، وما دامت الأمكنة في الروايات غالبا ما تكون متعددة ومتفاوتة ، فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعا . (1)

ب / – أنواع الفضاء :

– يعد الفضاء عنصرا مركزيا في تشكيل العمل الروائي ، وهو محل تبشير لمجمل وقائع الرواية ولحركة الشخصيات وأفعالها وأهوائها ونوازعها وعواطفها وآلامها ، وبالرغم من اختلاف النقاد حول التسمية الدقيقة لهذا المفهوم إلا أننا نرى من خلال الأنواع التي قدمها حميد لحمداني للفضاء التي تسمح لنا باستخدام مصطلح الفضاء باعتبار أن معناه يكون جاريا في كل فراغ ومكان وبهذا كان أوسع وأشمل مما جعله ينبوء مكانة خاصة بين العناصر السردية الأخرى .

– لقد استشعر ثلة من الباحثين العرب ضرورة وجود بنية فضائية تكون مرجعا لهم في مقارباتهم ، فقدم لنا الباحث حميد لحميداني من خلال كتابه : (بنية النص السردي) فصلا عرض فيه التصورات التي توصل إليها في تحديد أنواع الفضاء (الفضاء المعادل للمكان الفضاء النصي ، الفضاء الدلالي ، الفضاء منظورا أو رؤية) وقد أوعز له أحد الدارسين السبق في هذه المعالجة في قوله : "لعل حميد لحمداني قد سبق النقاد العرب إلى معالجة الفضاء الروائي عالجه أولا بعنوان الفضاء الحكائي" . (2)

(1) ينظر، حسن نجمي ، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 2000، ص56 .
(2) صالح ابراهيم : الفضاء ولغة السرد ، ص7 .

–ولهذا نجد معظم الدراسات التطبيقية ترجح هذا التوجه وهذا المستوى البنائي في مكون الفضاء كما يرى الباحث حسن نجمي أن الناقد حميد لحميداني قد وفِق في نظري لما ذهب إليه من تقسيمات في الفضاء من حيث جمعه بين المفهومين الأول والثاني (الفضاء معادلا للمكان والفضاء النصي) ضمن فضاء الحكي ، وردِّه الفضاء الدلالي إلى الصورة في الحكي أما المفهوم الرابع (الفضاء منظورا) فيرجعه إلى زاوية النظر عند الراوي.(1)

– أما الباحثة سيزا قاسم فتقترح تقسيما آخر ، حيث أوحت دراستها في (بناء الرواية) من خلال الفصل المعنون (ببناء المكان الروائي) بوجود نوعين من الفضاء ، الفضاء الواقعي ، والفضاء الخيالي وتقول :"تقوم دراسة المكان في الرواية على تشكيل عالم من المحسوسات قد تطابق عالم الواقع وقد تخالفه" .(2)

– فيما يقسم غالبا هلسا الفضاء إلى أربعة أقسام : المكان المجازي وهذا المكان هو افتراضي وليس حقيقي أي أن هذا المكان لايعبر عن المكان الحقيقي الذي نعيش فيه ، ويظل خارج تجربتنا الذاتية . أما المكان الهندسي فهو المكان الذي تعرض الرواية من خلال وصف أبعاده الخارجية بدقة بصرية . أما النوع الثالث فهو المكان تجربة معاشة وهو مكان عاشه مؤلف الرواية وبعد أن ابتعد عنه أخذ يعيش فيه بالخيال .والنوع الرابع وهو المكان المعادي ويتعلق بما يخالف إرادة الإنسان . (3)

وهناك من يجعل الفضاء "مكانا طبيعيًا منطقيًا ومكانًا أسطوريًا تخيليا". (4)

– لهذا عمدت إلى حصر دراستي في تلك التسميات التي إعتمدها حميد لحميداني على أنها الأنسب والأصلح لدراسة الفضاء الروائي وفقا للدراسات السابق ذكرها من قبل الباحثين في هذا المجال وهذه المستويات كما عرضها الناقد المغربي لحمداني كالآتي ، الفضاء معادلا للمكان ، الفضاء النصي ، الفضاء الدلالي ، الفضاء منظورا أو رؤية .

(1) ينظر، حسن نجمي : شعرية الفضاء ، ص53 .
(2) ـ سيزا أحمد قاسم : بناء الرواية ، مطبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب ، دط ، 1985 ، ص77 .
(3) ينظر، صبيحة عودة زعرب : غسان كنفاني ، جماليات السرد في الخطاب الروائي ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2006م ، 1426هـ ، ص 96.97 .
(4) ـ مراد عبد الرحمان مبروك : جيوبولوتيكا النص الأدبي "تضاريس الفضاء الروائي نموذجا" ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، ط1 ، 2002، ص66 .

1) – الفضاء الجغرافي : (héspace geographique) .

– الروائيين يذهبون إلى وصف أفضيتهم عن طريق تقديم إشارات جغرافية ولو بشكل ضئيل ، فيعرفه لحمداني أنه "الحيز المكاني في الرواية أو الحكي عامة" (1) ويكون بذلك معادلا للمكان وتقوم دراسة المكان هنا على إستخراج هذه المقاطع (مقاطع الوصف) ودراسة طبيعتها وصياغتها (2) ، كما يقدم لنا باحث آخر مفهوم الجغرافيا في الدراسات الإغريقية القديمة على أنها علم المكان ووصف الأرض التي تعنى بالمكونات والتضاريس المختلفة كالجبال والسهول ... ثم يسرح أن مفهومه إتسع ليشمل الجغرافية المناخية والبشرية والإقتصادية حتى أصبح يطلق على مفهوم الجغرافيا المكانية للنص "التي نعني بها حدودا التضاريس المكانية للنص الحكائي من حيث حيز المكان الجغرافي في النص وحيز التتابع المكاني له" . (3)

– كما أننا نجد الناقد عبد المالك مرتاض يصرح من جانب آخر في دراسته لرواية (زقاق المدق) عدم ارتياحه لمصطلح المكان الجغرافي لأنه يرى فيه إحالة على أماكن حقيقية كالقاهرة مثلا ، وبالتالي يصبح هذا المصطلح في نظره قاصرا أمام مصطلحات كالفضاء والحيز ، ومن ثم يرى أن هذا الاختلاف بين المفاهيم كان من أسباب عدم اعتماده مصطلح الحيز للدلالة على هذا النوع من الأماكن في دراسته (زقاق المدق) ، ومنه يتضح أن الناقد يربط الفضاء الجغرافي بكل مكان واقعي ، حقيقي فيقول : "المكان لدينا هو كل ما عنى حيزا جغرافيا حقيقيا" . (4) ثم يعقب أنه بهذا الصدد استعمل في دراسته لنص زقاق المدق المكان للدلالة على ما هو جغرافي وأما الحيز فيراد به كل ما هو غير ذلك .

– هناك من الباحثين من دعوا للجمع بين خصائص المكان أو الحيز مع خصائص الفضاء ، هذا الأخير الذي ينتج عن أبعاد مختلفة للمكان الروائي ، كتشكلة من الدلالات النفسية والاجتماعية والتاريخية التي يبعثها المكان الروائي ، خاصة عند ذكر اسم المكان ووصفه "إننا نسترجع هذه السياقات والأبعاد عند إسترجاعناللمكان نفسه أومايربط به" 5

(1) ـ حميد لحمداني : بنية النص السردي ، ص53 .
(2) ـ سيزا أحمد قاسم : بناء الرواية ، ص76 .
(3) ـ مراد عبد الرحمان مبروك : جيوبوليتكا النص الأدبي ، ص123 .
(4) ـ عبد الملك مرتاض : تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لزقاق المدق) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 4 - 1995 ، ص245 .
(5) ـ فتيحة كحلوش : بلاغة المكان ، الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2008 ، ص24 .

– إن المكان الهندسي الذي أعده هلسا صنفا للمكان ما هو في الحقيقة إلا صورة أخرى للمكان الجغرافي ويتجلى ذلك من خلال المفهوم الذي عبر فيه : "وأعني بذلك المكان الذي تعرضه الرواية من خلال وصف أبعاده الخارجية بدقة بصرية وحياد" . (1)

2) – الفضاء الدلالي : (léspace figuré)

–إن الفضاء الدلالي هنا لا يعادل المكان لأنه أكبر من أن تشخصه حدود ، فهو يتعلق بالمخيّلة واللغة التي توحي دلالات يتجاوز فيها واقعية الشيء ، إذ تعمل على بناء خلق جديد تضيف فيه وتحذف تظهر وتختفي ، لتضعك أمام توقعات وتمثلات جديدة يتجاذبها القارئ ، لأن الدلالة "ليست معطى جاهزا ، يوجد خارج العلامة وخارج قدرتها في التعريف والتمثيل ، فالمعنى لا يوجد في الشيء ، وليس محايثا له إنه يتسرب إليه عبر أدوات التمثيل . (2)

– إذن الفضاء الدلالي يشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكي وما ينشأ عنها من بعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام . (3)

– هذه الصورة الأولى التي نتلقاها تكون بداية لصورة أخرى ، وهذا ما أوعز لجيرار جنيت أن ينعت هذا النوع من الفضاء (بالتصوري) ، يقول : "إن الصورة (figure) هي في الوقت نفسه الشكل الذي يتخذه الفضاء ، وهي الشيء الذي تهب اللغة نفسها له ، بل إنها رمز فضائية اللغة الأدبية في علاقتها مع المعنى" . (4)

– إن عملية التلقي تكون غير مباشرة تتأثر بما يحيط بها ، وقد أشار إليها الناقد عبد الملك مرتاض . تحت مصطلح المظهر الخلفي للحيز والتي لا نحسبها إلا تسمية أخرى للفضاء الدلالي ، حيث عرفه بأنه المظهر غير المباشر الذي نتعرف عليه من خلال الأدوات اللغوية غير ذات الدلالة التقليدية على المكان مثل : الجبل ، البيت ، الطريق ... وذلك بالتعبير عنها تعبيرا غير مباشر مثل قول القائل في أي كتابةروائية : سافر ، خرج ، أبحر ... فمثل هذه الأفعال أو الجمل تحيل على عوالم لا حدود لها وهي كلها أحياز في معانيها . (5)

(1) ـ محمد برادة : الرواية العربية واقع وآفاق ، دار ابن رشد للطباعة والنشر ، ط1 ، 1981 ، ص220 .
(2) ـ سعيد بنكراد : السيميائيات والتأويل : المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2005 ، ص171 .
(3) ينظر، ابراهيم عباس : الرواية المغاربية ، ص217 .
(4) ـ حميد لحمداني : بنية النص السردي ، ص61 .
(5) ـ ينظر ، عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية ، ص144 .

– تتمثل نقاط بحث الفضاءالدلالي في جانبيه الدلالي والشكلي ، حيث أن الجانب الشكلي هو الصورة الأولى التي يمكن أن يتخذها منطلقا ليحقق امتدادا في الجانب الدلالي ، فيعكس هذا الإلتحام بين وحداته صورا هي نتاج فكر القارئ الذي تظهر عنده هذه الصور في شكل استعارات فضائية تفتح له مجالات عديدة لإستقراء المجال الروائي ، بمعنى أن الفضاء الدلالي "موجود على امتداد الخط السردي ، إنه لا يغيب مطلقا حتى ولو كانت الرواية بلا أمكنة ، الفضاء حاضر في اللغة ، في التركيب ، في حركية الشخصيات ، وفي الإيقاع الجمالي لبنية النص الروائي" . (1)

– ويؤكد هذا التصور صاحب كتاب (جيوبوليتكا النص الأدبي) الذي عالج الفضاء مفهوما ونوعا فخص فصول كتابه بأنواع ، منها التضاريس المكانية النصية ، تضاريس الفضاء النصي ، تضاريس الفضاء الدلالي ، ثم وقف عند الفضاء الدلالي ليراه تجاوزا لمختلف الحدود المكانية الطبيعية فيشمل الأبعاد المجازية والإيحائية والدلالية التي تتسم بها الرواية ، إذ يوضح أنه بغض النظر عن نوع المكان سواء شمل المساحة المكانية للكتابة أو دل على المكان الطبيعي فإنه يتسع ليدل على كل فضاء دلالي قائلا :"أن تضاريس الفضاء الدلالي تنتقل من الحيز المكاني المحدود بحدود جغرافية معينة إلى حيّز أكثر اتساعا هو الحيز المجازي والدلالي والرمزي ، والإيحائي الذي تصوره الأمكنة المختلفة في الرواية" . (2)

– إن الاهتمام بالنص اتسع ليتخطّى تلك الصورة الشكلية أو الثابتة السكونية ، فيكون الفضاء الدلالي نتيجة هذا النظام من العلاقات والبنيات ، التي تلوح وتختفي حسب الأبعاد المحيطة بالنص ، ويقوم البحث في هذه الأبعاد الحاملة لمختلف الظواهر الدلالية على "تعيين الفوارق التي يتحكم فيها من هذا المنظور يقدم كل نص كفوارق لجهاز منظم من حيث الانزياحات التباينية" . (3)

– الفضاء الدلالي يتجاوز الحدود الطبيعية المكانية ليشمل الأبعاد الإيحائية والرمزية والدلالية فيكون "إلى جانب النص ، فضاء صوريا لا يخلو من دلالة" . (4)

---

(1) ـ حسن نجمي : شعرية الفضاء ، ص65 .
(2) ـ ينظر، مراد عبد الرحمان مبروك ، جيوبوليتكا النص الأدبي ، ص167 .
(3) ـ عبد القادر شرشار : الخطاب الأدبي وتحليل قضايا النص ، إتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، 2006 ، ص78 .
(4) ـ محمد الماكري : الشكل والخطاب (مدخل لتحليل ظاهراتي) المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، كانون الثاني 1991، ص8 .

3) – الفضاء النصي : (léspas textuelle)

– الفضاء النصي هو تشكيل طباعي اختلط فيه البياض والسّواد ، هو حالة انفصال واتصال وامتزاج للسواد مع البياض وما نتج عن ذلك من تشكيلات وتنويعات ، إنه يقف على ما يضفيه التشكيل البصري من إيقاعات جديدة ، فالفضاء النصي هو "الحدود الجغرافية التي تشغلها مستويات الكتابة النصية في الرواية ... ولكنها تعني بالمكان الذي تشغله الكتابة في النص الروائي أي جغرافية الكتابة النصية باعتبارها طباعة مجسدة على الورق . (1)

– من الذين اهتموا بالهوامش الناقد جيرار جنيت ، حيث خصص كتابا لدراسة هذا المركب المهم بعنوان العتبات (seuils) ، وقد عرض فيه إلى أجزاء مهمة في النص الطباعي كأشكال الهوامش والطباعة والغلاف والعناوين والخط والمقدمات التمهيدية ...

–فإذن خطاب الهوامش بنية ضرورية لفهم النص وتأويله وهو خطاب ما ورائي يعضد النص الأصلي ويوازيه متناصا معه ليجسد المعرفة الخلفية من خلال فك القارئ لهذه الشفرات المرجعية والثقافية والفنية ذلك أنه "يحدد أحيانا طبيعة تعامل القارئ مع النص الروائي أو الحكائي عموما وقد يوجه القارئ إلى فهم خاص للعمل" . (2)

– وقد اهتم الناقد لحمداني بمظاهر الكتابة عند بيتور ، حيث أضفى عليها شروحا وتعاريفا موضحا وظائف هذه الأشكال الكتابية ومصنفا لها على نحو : الكتابة الأفقية والعمودية ، التأطير ، البياض ، ألواح الكتابة ، التشكيل التيبوغرافي وأخيرا التشكيل وعلاقته بالنص ، والذي يريد به غلاف النص الروائي الامامي والخارجي . (3)

– إذا كان الفضاء الدلالي ، الصورة الذهنية التي تنتجها لغة الحكي وما ينشأ عنها من مجازات ، فإن الفضاء النصي هو الصورة المرئية للواحق النص المكتوب من تشكيلات الكتابة وطريقة رسم حروفها وتوزيع بياضها وسوادها وغيرها من توابع أخرى ... إن ما لقيه هذا الفضاء من رحابة عند مختلف الباحثين واهتمام واسع بدراسته والبحث في مستوياته ، لقي فعلا عكسيا عند الناقد عبد الملك مرتاض ، ففي دراسته لرواية (زقاق المدق)يذكره بعنوان حيز النص المدروس . (4)

---

(1) ينظر، مراد عبد الرحمان مبروك : جيوبوليتكا النص الأدبي ، ص123 .
(2) ـ حميد لحمداني : بنية النص السردي ، ص56 .
(3) ـ ينظر ، المرجع نفسه ، ص58 .
(4) ينظر، عبد الملك مرتاض : تحليل الخطاب السردي ، ص245 .

– يضيف الباحث محمد عزام أن هناك فضاء روائيا غير الطباعي وأنه فضاء يعزى للفكر والإعتناء باللغة في حين الفضاء النصي "هو الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها باعتبارها أحرف طباعية على مساحة الورق (1)، ثم يوضح ما يمكن أن يشغل هذه المساحة الورقية من تصميم الغلاف ووضع المقدمة وتنظيم الفصول ، وتشكيل العناوين، وتغيرات حروف الطباعة .

– والفضاء النصي عند ابراهيم عباس هو فضاء مكاني ، غير أنه غير متعلق فقط بالمساحة التي تشغلها الكتابة . (2)

– يمكن القول أن الفضاء النصي يرتبط بجماليات كل تلك التشكيلات في نوع الإخراج والكتابة وحجمها ورسمها وإتساعها وضيقها وتنظيم الفصول وتشكيل العناوين ، ويظهر هذا الأمر عند الباحث المغربي (محمد الماكري) الذي اهتم في كتابه (الشكل والخطاب) بقضايا الفضاء الطباعي حيث خصص بابه الثاني من الكتاب لهذه القضية تحت عنوان (الخط والشكل الطباعي)، إذ يعتبره تمثيلا من مستوى ثان المعطيات اللغوية . فمحمد الماكري يقدم مفهوما للفضاء عن أحد الباحثين قائلا :"الفضاء النصي هو الفضاء الذي يتم فيه تسجيل الدليل الخطي" . (3)

4) – الفضاء منظورا أو رؤية :

– إن وسيلة الهيمنة على عالم الرواية ، تبرزها قدرة الكاتب على تطويع اللغة إلى صالح العمل الروائي فيرى هنري جيمس :"أن وجهة النظر هي التي تحكم مسألة المنهج الدقيقة ، مسألة وضع الراوي من القصة إنه يرويها كما يراها هو في المقام الأول" . (4)

– لقد تعددت التسميات بالنسبة لهذا المكون الروائي من (منظور وتبئيرات ، ووجهة النظر أو الرؤية والبؤرة وحصر المجال) ، ولعل وجهة النظر هي المصطلح الأكثر شيوعا ، حيث أن مفهومها يرتكز على الراوي الذي من خلاله تتحدد رؤيته إلى العالم الذي يرويه بأشخاصه وأحداثه وعلى الكيفية التي من خلاله أيضا . في علاقته بالمروى له . تبلغ أحداث القصة إلى المتلقي أو يراها . (5)

(1) ينظر، محمد عزام : شعرية الخطاب السردي ، دراسة ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، دط ، 2005 ، ص72 .
(2) ينظر، ابراهيم عباس : الرواية المغاربية ، ص31 .
(3) ينظر، محمد الماكري : الشكل والخطاب ، ص71 .
(4) ـ سيزا أحمد قاسم : بناء الرواية ، ص130 .
(5) ينظر، سعيد يقطين : تحليل الخطاب الروائي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط2 ، 1993 ، ص184 .

- ينحصر هذا المفهوم عند مجال رؤية الكاتب ولا يتخطاه إلى مختلف أنساق بنية الرواية ، ونجد عبد الرحمان الكردي يعرض رؤية كل من ليتش وشورت لزاوية الرؤية التي ينظران إليها من جانبين ، جانب يتعلق بطريقة إدراك العالم الخيالي المكون لموضوع القصة ويطلق على هذا الجانب زاوية الرؤية الخيالية وجانب آخر يتعلق بالطريقة الكلامية التي يعرض بها الراوي عالمه الخيالي ، ويطلقان على هذا الجانب زاوية الرؤية الخطابية أو القولية .(1)

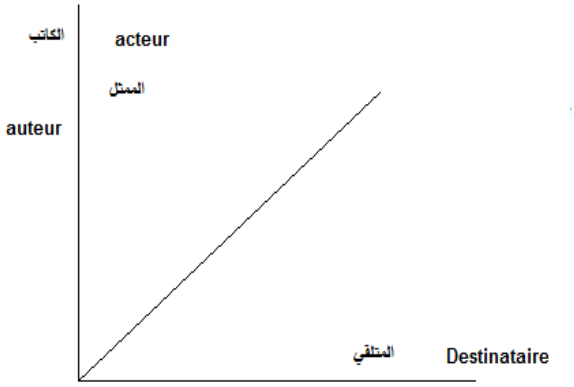

– نجد في هذا التمثيل نقطة إلتقاء واحدة ينطلق منها جميع المشاركين كفعالين حقيقيين بحيث تكون الشخصية أو الممثل هي الوسيط الذي يستطيع الكاتب أن ينقل به رسالته إلى المتلقي ويحدث العكس أيضا ، فالمتلقي يتمكن من التعرف على الرسالة من خلال هذا الممثل الذي يترجم مختلف الرؤيات التي تحيط ببناء الرواية اجتماعيا ، وسياسيا ، وثقافيا ، وأيديولوجيا ، لتسع فضاء رؤيويا متكاملا.

– وكما بين الناقد لحمداني حول مباحث زاوية النظر عند الراوي ، أنها تنطوي ضمن هذا النوع من الفضاء لأنه يتعلق بصورة الراوي فهو يشير إلى الطريقة التي يستطيع الراوي الكاتب بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائيبما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح . (2)

– نصل إلى أنه على الرغم مما عرفه الفضاء من تطور نسبي على مستوى الدراسات النقدية واتجاه مختلف الباحثين لتقمص البحث في هذا المكون على مستوى الدراسات الإبداعية ، فإنه يبقى يسير بتثاقل مقارنة بالعناصر السردية الأخرى ، مع أنه يحتويها ويتضمنها .

– أصبح الفضاء موجّها أساسيا في تحديد الأشكال السردية ، وخاصة على مستوى الرواية الجديدة حيث تتضاعف أهميته لسبب مهم هو "الهدم الذي مارسته هذه الرواية" على مستوى التقاليد السردية الكلاسيكية كالتضئيل من شأن الشخصية واعتبارها مجرد رقم (3)

(1) ينظر ، عبد الرحمان الكردي : الراوي والنص القصصي ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ط2 ، 1996 ، ص51 .
(2) ينظر،حميد لحمداني : بنية النص السردي ، ص62 .
(3) ينظر، عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية ، ص87 .

جـ / – علاقة الفضاء بالوصف :

– يعد الوصف الوسيلة الأساسية في تصوير المكان ، فهو يتناول الأشياء ويرسمها بواسطة اللغة ، وهو عنصر أساسي في الرواية ، فإذا كانت الأحداث تروى في الزمن فإن الوصف يصور الأشياء في المكان ليخلق الفضاء الروائي ، فللوصف وظائف متعددة منها التصوير الفني الجميل للمكان ، ومنها التمجيد للشخصية التي تخترق المكان ، كما أن الوصف لا ينقل الأشكال التي تراها العين ، بل ينقلها وفق منظور نفسي فني جمالي ، يخدم الرواية ويساعد على خلق فضاء تتحرك فيه الشخصيات ، ويكون المكان جزءا من بنيتها الكلية ، ومما لا شك فيه أيضا أن كل مكان روائي منهجه الخاص (1) ،[والوصف الجيد قد يساعد على الترشيح لظهور الشخصية أو الارتباط بميزاجها وطبعها ، ولكنه لا يقتضي بالضرورة خلق فضاء روائي وإن صورة المكان الجيدة تعد منطلقا لبناء الفضاء الروائي ، وإذا كان المكان أساسا تتضامن مع الصورة الجيدة الأخرى لتشييد هذا الفضاء...](2) .

– اهتم روائي القرن التاسع عشر إهتماما بالغا بالمكان ، أي أنهم حددوا العالم الحسي الذي تعيش فيه شخصياتهم ويكون فضاءًا رحبا للأحداث مستخدمين في ذلك أساليب عدة كان من أهمها الوصف ، الذي استطاعوا من خلاله خلق عالم مستقل له خصائصه الفنية التي تميزه عن غيره ، فالروائي الواقعي الفنان حقا لا يعرض الحياة في صورة فوتوغرافية ساذجة ، وإنما سيذهب إلى عرض صورة أكثر حقيقة وحيوية وكمالا من الحقيقة نفسها .

فإن كان السرد يشكل أداة الحركة الزمنية في الحكي ، فإن الوصف هو أداة تشكل صورة المكان ، ولذلك يكون للرواية بعدان أحدهما أفقي يشير إلى السيرورة الزمنية والآخر عمودي يشير إلى المجال المكاني الذي تجرى فيه الأحداث ، وبإلتحام الوصف والسرد ينشأ فضاء الرواية (3) ، وهناك اختلاف بين الروايات في تحديد دور الوصف بالنسبة لتصوير المكان ، وقد حدد قيمته أحد النقاد في قوله : "إذا كانت الشخصيات والحبكة مثل النواة داخل الخلية الحية التي تشكلها الرواية (4) .

ولولا الوصف لما حصلنا على محيط ومناخ الرواية الذي قصده هذا الناقد .

1- ينظر ، أحمد زياد محبك:متعة الرواية دراسة نقدية متنوعة،دار المعرفة بيروت،لبنان،ط1،2005،ص35 .
2- سمر روحي الفيصل :بناء الرواية العربية السورية ،ص269 .
3- ينظر،حميد لحميداني:بنية النص السردي ،ص80 .
4– المرجع نفسه ، ص 81.

الفصل الثاني: إشكالية الفضاء

- الفضاء في الخطاب النقدي الغربي
- الفضاء في الخطاب النقدي العربي
- أهمية الفضاء

أ/- الفضاء في الخطاب النقدي الغربي :

- لقد بدأ الاهتمام بالفضاء الروائي في الرواية الغربية مع رواية القرن الثامن عشر حيث تم الإلتفافت إلى الطبيعة باعتبارها مكانا روائيا ، أما في رواية القرن التاسع عشر فقد أصبح المكان مجرد مؤطر للأحداث والشخصيات ، لكن مع مطلع القرن العشرين أصبحت الرواية طافحة بالأمكنة وكنموذج على ذلك نجد رواية (يوليسيز) التي طغت عليها أمكنة مدينة "بلن" .

-وقد أصبح الفضاء في الرواية الغربية أساسيا ، وقد تم الانزياح مع الرواية الجديدة عن وصف الأمكنة باعتبارها توقيفا للحكي ومجرد تزيين والقفز بها إلى اعتبارها مساهمة في تأسيس الخطاب الروائي حيث أن : " إستعمال الفضاء يتعدى بكثير مجرد الإشارة إلى مكان من الأمكنة ، إن الفضاء يخلق نظاما داخل النص " .

-وعليه يبدو أن حضور الفضاء أصبح أساسيا وعليه يقوم البناء الروائي ، ولم تعد الهيمنة لما هو زمني على حساب ما هو فضائي ، وإنما أصبحا مقترنين ويساهمان معا في بنية النص الروائي مع المكونات الأخرى ، فهذا يؤكد عدم إنفصال الفضاء عن باقي المكونات الروائية الأخرى ، فقد أصبحت العناصر المكانية مهيمنة في الرواية الجديدة ، فإنزاح الفضاء على أن يكون استراحة في النص الروائي ليصبح مكونا روائيا ، ومن ثم أصبحت الهيمنة للفضاء في الرواية الجديدة ، وهو الشيء الذي أسهم في إثراء النقد الروائي بمفاهيم جديدة . (1)

- لقد توالت الأبحاث حول هذا المكون من مكونات الرواية وهو "الفضاء" فكانت المعاناة التي لاقاها مختلف الباحثين في إعتماد المفهوم الأنجع وفي البحث عن المصطلح الأكثر مناسبة لتغطية هذه البنية الجديدة للرواية الحديثة لا تختلف عما وقع فيه الباحثون إثر محاولاتهم لتخيّر المفهوم الصحيح واعتماده في دراسة البنية الفضائية للرواية . (2)

(1) - ينظر ، حورية الظل : الفضاء في الرواية العربية الجديدة ، ص 30 - 31 .
(2) - ينظر ، المرجع نفسه ، ص 45 .

– لعلّ من أهم الدراسات التي إعتنت بهذا المكون "الفضاء" وكشفت عن دلالاته الدراسة التي قام بها " لوري لوتمان " في كتابه (بنية النص الفني) 1973 ، فكان هذا الكتاب من الأنظمة الأساسية التي اعتمدها الباحثون في دراسة الفضاء ، إذ تعرض البحراوي في كتابه بنية الشكل الروائي إلى أهم الدراسات التي عُنيت بالفضاء أمثال دراسات (جورج بوليه) الذي درس الفضاء الروائي لذاته دون تحليل الروابط التي تجمع بينه وبين الأنساق الأخرى ثم تلته دراسات (رولان بورنوف) في(العالم الروائي) حيث تدارك ثغرة صاحبه ودرس الفضاء في علاقته بالحدث والشخصيات والزمن ... (1)

– وبهذا يكون الفضاء الروائي قد لقي اهتماما خاصا من قبل كتاب الرواية الفرنسية الجديدة نتيجة التغيرات التي لحقت فضاء الواقع ، فتم خرق الطرق التقليدية لتصوير الفضاء فيُعد الكاتب الفرنسي (رولان بورنوف) من الكتّاب الفرنسيين الذي تناول الفضاء الروائي في مقاله المعنون بـ : عناصر الفضاء الروائي (organization de space lédans le roman) والذي ركز فيه على الإنتظام البنيوي للفضاء ، وذلك بدراسته في إطار علاقته مع باقي المكونات الروائية الأخرى .

– وانتهج هذا المنهج بعدما لاحظ قلة الدراسات التي تناولت الفضاء الروائي وخاصة الجانب البنائي وليس المضموني ، وقد ظهرت دراسته للفضاء في السبعينيات ، وهو يشير إلى فقر التنظير لهذا المكون الحكائي مقارنة بالمكونات الأخرى ، كما حاول تقديم الدراسات المتعلقة بالفضاء الروائي وصنفها حسب اتجاهاتها وحسب استعمالاتها المختلفة وقسمها إلى ثلاثة أقسام : 1/ علاقة الفضاء مع مبدعه . 2/ علاقة الفضاء بالقارئ . 3/ علاقة الفضاء مع باقي مكونات الرواية وهو أهم ما جاء به بورنوف لأن هذا الجانب كان مهملا من قبل الدراسات النقدية ، وقد حقق بورنوف بدراسته للفضاء الروائي سبقا في النظرية الغربية ، حيث تناول الفضاء مثل باقي المكونات الروائية الأخرى كالزمن ، الحدث ، الشخصيات ، ولم يكتف بتناول جانبه الوظيفي . (2)

– إلا أن الدراسة التي روجت بشكل كبير لهذا النسق (الفضاء) ، وكان لها الفضل في توجيه الدارسين للإهتمام بهذه البنية الفضائية هي دراسة " غاستونباشلار " في كتابه "

(1) ـ ينظر ، حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ، ص 26 .
(2) ـ ينظر ،حورية الظل : الفضاء في الرواية العربية الجديدة ، ص 37 .

جماليات المكان " هذا الأخير الذي أبدى عناية واهتماما بالمكان النفسي متجاوزا في ذلك المفهوم العادي للمكان المادي ، إذ يربط المكان بالزمان ويجعله ملازما له ، ويؤكد هذا التلازم في كتابة (جدلية الزمن) حيث يصرح أننا : " نفهم التوافق البطيء بين الأشياء و الأزمان بين فعل المكان في الزمان ورد فعل الزمان على المكان " . (1)

– كما أن هناك دراسة قام بها " شارل كريفل " ضمن كتابه : " pro duction de lintérét romanesque) يقارن من خلالها بين المكان في الرواية كمكان متخيل ، والمكان في الواقع ويبحث في مدى تأثير الأول على المتلقي ، ويدعو إلى تعيين المكان في الرواية منذ السطور الأولى ، وهو بذلك يضع مقارنة بين الفضاء ذو المرجعية الواقعية والفضاء المتخيل ثم يتحدث عن المكان في علاقته بالعناصر الأخرى كالشخصيات والزمن .(2)

–وسننتقل إلى النقد العربي لنرى إلى أي حد استطاع النقاد العرب تمثيل مفهوم الفضاء الروائي وهل استطاع هؤلاء تحقيق ذلك أم ظلوا دونه ؟ .

ب / – الفضاء في الخطاب النقدي العربي :

– لقد عمل النقد العربي على المواكبة المستمرة للانتاج الروائي العربي وتطوره ، وقد تم ذلك من خلال مقالات تم نشرها في المجلات ، أو من خلال مؤلفات فردية أو جماعية أو عبر الأطروحات الجامعية .

– يعتبر اهتمام النقد العربي بالفضاء الروائي ضرورة حتمية فرضتها الرواية العربية الجديدة التي أصبحت تهتم بهذا المكون الروائي ، لكن المفارقة أن اهتمام الرواية بالفضاء شكل طفرة نوعية ، لكن رغم ذلك لا يمكن إنكار مجهودات بعض هؤلاء النقاد في إضاءة جوانب الفضاء الروائي لأن لولاها لظل معتما . (3)

– من بين الدراسات النقدية العربية التي اهتمت بهذا المكون نجد الباحث العراقي : "ياسين نصير" : يعتبر هذا العمل الذي أنجزه مسألة مبكرة للمكان الروائي ، فهو يهدف

(1) ـ غاستونباشلار : جدلية الزمن ، ترجمة خليل أحمد خليل ، ديوان المطبوعات الجزائرية للدراسات والنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط ، ص 8 .
(2) ـ ينظر ، حورية الظل : الفضاء في الرواية العربية الجديدة ، ص 44 .
(3) ـ ينظر ، ياسين النصير : الرواية والمكان ، الموسوعة الصغيرة 57 ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، 1980 ، ص 6 .

إلى إبراز قيم المكان الفكرية والجمالية في الرواية لكنه في تحليله لم يوفق إلى ذلك ، ويعود الأمر إلى طبيعة الروايات العراقية المدروسة التي تعود إلى فترة الستينيات ، كما نجده يقارن بين المكان في الواقع والمكان في الفن . (1)

– أما النموذج الثاني من الدراسات النقدية التي تناولت المكان في الرواية فيما يتعلق بما أنجزته سيزا قاسم ضمن كتابها (بناء الرواية)، ويتسم الكتاب بالوضوح النظري النسبي حسب الناقد المغربي حميد لحمداني . (2)

– ويظل فهم الباحثة سيزا قاسم متقدما للمكان الروائي لأنها استطاعت أن تتناوله بعمق نسبي رغم جدة الموضوع على الساحة النقدية وقد قسمت الفصل الخاص بالمكان إلى عدة أقسام منها : 1 . أهمية المكان في البناء الروائي ، 2 . وصف المكان ، 3 . الأشياء في الرواية الواقعية ، 4 . علاقة الرسم بالوصف ، 5 . علاقة المكان والزمان في الوصف ، 6 . بناء المكان الروائي .

–ويعتبر تناولها لعلاقة الوصف والرسم دالا على فهمها للفضاء الروائي في علاقته بباقي الأجناس الفنية ، ومنها الرسم . (3)

– ونجدها في تناولها للمكان عند لحبيب محفوظ في الثلاثية تؤاخذه على إقتصاره على تناول المكان المغلق والمنعزل ، وجعل الأحداث تدور فيه . (4)

– وقد انتهجت المفارقة بين المكان عند محفوظ والمكان عند بلزاك وفلايبرت ، وقد قارنت بين محفوظ وبين الكتاب الواقعيين وحاولت الوقوف على أوجه الإتفاق وأوجه الإختلاف بينه وبينهم . (5)

– أما حميد لحمداني نجده يشير إلى عدم تكامل نظرية الفضاء الروائي من خلال كتابه (بنية النص السردي) فهو يتحدث عن مكونات الفضاء الروائي لكنه لا يدمجها في بعضها البعض وإنما يحددها ويميز فيما بينها ،ثم ينتقل إلى التمييز بين الفضاء والمكان تمييزا محددا حتى لا يقع ضحية إلتباسهما ،ثم انتقل إلى تناو ل المكان كمكون للفضاء الروائي(6)

– كما ميز لحمداني بين أهمية المكان في الرواية الواقعية والمكان في الروايات الذهنية ، كما أشار في نهاية المبحث إلى عدم إخلاصه للنظرية البنائية لأنها " لم تتبلور

(1) ـ ينظر ، حورية الظل : الفضاء في الرواية العربية الجديدة ، ص 50 .
(2) ـ ينظر ، حميد لحمداني : بنية النص السردي ، ص 119 .
(3) ـ ينظر ،سيزا أحمد قاسم : بناء الرواية ، ص 102 .
(4) ـ ينظر ، المرجع نفسه ، ص 169 .
(5) ـ ينظر ، حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ، ص 25 .
(6) ـ ينظر ، حورية الظل ، الفضاء في الرواية العربية الجديدة ، ص 59 .

بعد نظرية متكاملة في الموضوع وهو ما يسمح على الدوام بمتابعة الآراء الأخرى ..." ، أما "محمد منيب البوريمي" فيتناول أشكال الفضاء الروائي في كتابه : (الفضاء الروائي في الغربة) حيث اهتم بالبنيات الفنية في النص الروائي كما تمكن من تمثل الفروق الموجودة بين المكان والفضاء ودرس فضاء . (1)

– وفي الأخير إن أبحاث النقاد العرب التي تطرقنا لها يعتبر القاسم المشترك بينها هو الفضاء الروائي ، لكنها خضعت لرؤى الباحثين وتوجهاتهم ومنطلقاتهم المنهجية ، وقد ظلت دراساتهم متقدمة في مجالها ، وما أتى فيها من هفوات يعود للإلتباس الذي يطبع مفهوم الفضاء الروائي ، لذلك تكشف هذه الأبحاث عن تطور النقد العربي الذي أصبح يغامر باقتحام مواضيع حديثة العهد لم تحقق بعد نظرية متكاملة حتى في الغرب كالفضاء الروائي .

جـ / – أهمية الفضاء :

– الفضاء في الرواية نجده يعبر عن نفسه من خلال أشكال متفاوتة ويكسب معاني متعددة ، هذا المكون الذي أصبح الجدلية الحاضرة فوق منابر الباحثين ، ذلك لما يحتله هذا المكون من أهمية .

– إن الفضاء الروائي ليس مجرد تقنية أو تيمة أو إطار للفعل الروائي بل هو المادة الجوهرية للكتابة الروائية ولكل كتابة أدبية .(2)

– وهناك من يقول أن وظيفة المكان تكمن أساسًا في كونه حيزا يحتضن المادة اللغوية التي بها يتشكل العمل الأدبي كما أن استعمال المكان في العمل الأدبي سواء أكان هذا المكان حقيقيًا موجودًا في الواقع أم كان متخيلا يوهم بالواقعية فإنه يدل دوما على درجة معينة من التجريدية التي تقتضيها طبيعة العمل الفني . (3)

(1) ـ المرجع السابق ، ص 60 .
(2) ـ ينظر ، حسن نجمي : شعرية الفضاء ، ص 59 ، 60 .
(3) ـ ينظر ، مخلوف عامر الرواية والتحولات في الجزائر (دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية ، إتحاد الكتاب العرب ، مكتبة الأسد ، 2000 ، ص 40 ، 41 .

– تكمن أهمية المكان كمكون أساسي وحيوي للفضاء الروائي بأن المكان هو الذي يجعل من أحداث الرواية بالنسبة للقارئ شيئا محتمل الوقوع ، فهو الذي يعطيها واقعيتها فكل فعل لايمكن تصوره ووقوعه إلا ضمن إطار مكاني ، وهذا ما ذهب إليه هنري ميتران عندما اعتبر المكان هو مؤسس الحكي ، لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة ، كما أن يعتبر كعامل مساعد على إيصال الخطاب المنقول عن أحداث الرواية إلى القارئ وإحداث انطباع لديه . (1)

– كما أن تشخيص المكان في الرواية هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئًا محتمل الوقوع ، بمعنى يوهم بواقعيتها ، وطبيعي أن أي حدث لا يمكنه أن يُتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين ، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني .(2)

– كما أن أهمية المكان لا تختلف عن أهمية الزمان والشخوص ، لأنه لا يمكن أن نتصور أحداثا تقع خارج المكان ، بل لا بد أن تقع في فضاء حقيقي ، كما أن دور المكان ليس دور تزييني بحت لأنه لم يعتمد الوصف ورسمه بل خضع إلى طبيعة الأحداث ، فالقارئ يحدد المكان من خلال متابعته للحدث ، لأن الكاتب لا يقدم له مكان جاهز . (3)

– ومع رواج المذهب الواقعي في العصر الحديث ازداد المكان أهمية في الاستعمال ، وتحددت وظائفه ورست مفاهيمه وفي منهج بناء الزمن الواقعي يعد عامل المكان ضروريا للحيلولة بين الرمز والتجريد المطلق وحتى لا يفقد الرمز محتواه الواقعي . (4)

(1) ـ ينظر ، ابراهيم عباس : الرواية المغاربية ، ص 219 .
(2) ـ ينظر ، عمر عاشور (ابن الزيبان) : البنية السردية عند الطيب صالح (البنية الزمانية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ـ الجزائر 2010م ، ص 30 .
(3) ـ ينظر ، ادريس بودبية : الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار ، منشورات جامعة منتوري ، قسنطينة ، دط ، ص 12 .
(4) ـ ينظر ، وفاء ابراهيم : قراءات جمالية للإبداع . هؤلاء ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، دط ، ص 64 .

– ومما يزيد بأهمية الفضاء أنه يجعل من أحداثها شيئا محتمل الوقوع ويبسط للقارئ فكرة تواجده في مثل تلك الأمثلة . " فالمكان يمثل عنصرا من العناصر الأساسية التي يقوم عليها خيال الكاتب في بناء روايته ، فمن اللحظة الأولى يسمع فيها القارئ نص الرواية ، ثم ينتقل إلى عالم خيالي من صنع الكاتب الذي يتواجد فيه القارئ " . (1)

–والفضاء في الرواية الواقعية يكتسب أهمية كبيرة بالنسبة للسرد وذلك لخطة وصفة بشكل مطول ودقيق مثلما يكسب هاته الأهمية عندما نراه يؤسس مع غيره من الأمكنة الموصوفة فضاء الرواية بكامله . (2)

– كما يعد المكان من أهم المحاور الروائية المؤثرة في ابراز فكرة الكاتب ، وتحليل شخصياته النفسية ، لأن ادراك الانسان للمكان مباشر وحسي وصراعه معه ما هو إلا تأكيد لذاته وتأصيل لهويته فبقدر احساس الانسان بالمكان ، تكمن أهمية وجوده ، فقد تعاظمت أهمية المكان في الأدب الروائي ، ورأى أغلب الروائيين أن الأماكن البسيطة والقروية تثير السعادة والمرح ، وأن المساكن الفخمة بالمدينة تثير الشعور بالاختناق غير أن هذه النظرية تقليدية بحتة ، فإحساس الإنسان بالأمان والاطمئنان في المكان المتواجد فيه ، هو الذي يحدد شعوره بالسلب أو الإيجاب (3).

(1) -سيزا أحمد قاسم : بناء الرواية ، ص 75 .
(2) - ينظر ، حميد لحمداني : بنية النص السردي : ص 57.
(3) -ينظر ، صبيحة عودة زعرب : غسان كنفاني ، جماليات السرد في الخطاب الروائي ، ص 95 .

الفصل الثالث : تجليات الفضاء في رواية مذنبون للحبيب السائح

- مكونات الفضاء

-الفضاء ذو المرجعية الواقعية

- الفضاء المتخيل

أ / –مكونات الفضاء :

– إن الأشياء من أثاث وألبسة وأطعمة وشراب و مناظر للطبيعة والعمران وغيرها ، هي في حقيقتها تنتمي إلى العالم الخارجي، ولكنها حين تدخل عالم الرواية عن طريق الوصف ، تصبح حاملة لدلالتين الأولى دلالة عامة تشير إلى حقيقتها في العالم الخارجي والثانية دلالة خاصة ترمز إلى معنى معين ومقصود والفرق بين الرمز والإشارة أن الرمز أكثر كثافة ويرتبط بمجموعة من الدلالات المعقدة [1].

– وترمز الأشياء للدلالات انطلاقا من هيآتها وأشكالها وألوانها ثم عددها حيث أن هناك فروقا من حيث الدلالة التاريخية بين القديم والجديد ، إذ أن وجود أشياء قديمة يمكن أن يرمز من بين ما يرمز إليه ، إلى عراقتها في التاريخ ، أما وجود أشياء هي ليست بنت عصرها ، فمن شأنه أن يرمز إلى رغبة الاقتناء[2].

– ولهذا يكون تكثيف الاهتمام بالأشياء ليس مجانيا في النص الروائي وإنما يعبر عن رؤية السارد التي يسوقها من خلال الوحدة الحكائية التي تترجم وعيه المجهول تجاه العالم ، حيث يتجنب إعطاء تفسير أو تبرير للوجود والموجوداتويزيح كل ذلك ليرى الأشياء بطريقة جديدة مكتفيا بسطوحها [3]

وفي رواية مذنبون للحبيب السائح نلاحظ أن الأماكن التي جرت فيها الأحداث توجد بها بعض الأشياء ، حيث نجد فضاء القبو والذي يوجد به أثاث قديم وحديث ومن صناديق وأكياس وآلات نجارة صالحة أو معطلة ومن قطع غيار وأكوام من الخشب ومن علب البرنيق والدهن وأشياء أخرى[4]، كما أننا نجد فضاء مقهى بوركبة صديق والد رشيد الذي قتلت عائلته في المذبحة الشنيعة ، حيث كانت هذه المقهى أثناء الاحتلال الفرنسي على الجزائر عبارة عن حانة بها أثاث قديم من مصطبة خشبية وزجاجات المشروبات الغازية وسداداتها الحديدية ، ورق علب القهوة والسكر والحثالة ، ثلاجة كبيرة قديمة ذات أبواب خشبية ثقيلة ، لكن هذه الحانة بعد نهاية الاحتلال الفرنسي على الجزائر حولها بوركبة وجددها إلى مقهى يوجد به : مصرف ، ثلاجة ، مصطبة خشبية[5]

1- ينظر ، سيزا أحمد قاسم : بناء الرواية ،ص100
2- ينظر ، عمر عاشور : البنية السردية عند الطيب صالح البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة الى الشمال ، ص 111.
3- ينظر ، حورية الظل : الفضاء في الرواية العربية الجديدة ، ص96.
4-الحبيب السائح : مذنبون لون دمهم في كفي ، دار الحكمة للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع ، الجزائر ، ط1، 2008، ص79
5-المصدر نفسه ، ص20.

– إضافة إلى فضاء مشغل النجارة لأحمد يوجد به مقصورة صغيرة وخزانة وآلات وزوايا قياس ومساطر ومطارق خشبية من النوع القديم [1] ، وهناك أماكن أخرى جرت فيها أحداث توجد بها بعض الأشياء ،حيث تترابط العناصر السردية من خلال خيط رفيع يشدها على بعضها البعض ، يتمثل هذا الخيط في رؤية الذات التي توحد كل هذه المستويات ومن هذه المستويات التجاء الذات إلى التعبير عن الواقع من خلال وسائط جمالية تتمثل في عرض مؤثثات الفضاء بطرق كتابية مختلفة ، فكيف استطاعت المؤثثات أن تكون منبعا للأحداث وتعبيرا عن زمنيين (الماضي والحاضر) ؟ وماهي طرق تبنينها في النص الروائي ؟

1) – الأثاث:

– يمثل الأثاث مظهرا من أوضح مظاهر الحياة الاجتماعية ولذا نشأ ما يسمى بفلسفة الاثاث حيث يعكس مجموعة من القيم الاجتماعية المادية والجمالية ذات الدلالة الخاصة التي يريد الكاتب تقديمها [2]، إلا أن الناقد ميشال بيتور اهتم بفلسفة التأثيث فيرى بأن الاثاث في الرواية لا يلعب دورا شعريا وايحائيا في النص الروائي ويعبر عن ذلك بقوله "إن الاثاث في الرواية لايلعبدورا شعريا افتراضيا فحسب بل دورا ايحائيا لأن هذه الأشياء مرتبطة بوجودنا أكثر مما نقر ونعترف عادة ، إن وصف الاثاث والاغراض هو نوع من وصف الاشخاص الذين لا غنى عنهم : فهناك أشياءلا يمكن أن يفهمها القارئ ويحسها إلا إذا وضعنا أمام ناظريه الديكور وتوابع العمل ولواحقه"[3] فميشال بيتور كان يعي جيدا جملة الوظائف والدلالات التي يطرحها حضور الاشياء في المكان حيث أن في وصفها وصف للزمن أيضا ، إذ يرى "أن الاشياء هي رفات الزمن وبقاياه" [4] فهذه الأشياء في العمل الروائي ترتبط بالعناصر الروائية بما فيها أشياء العالم الخارجي حيث تسهم في خلق حالات فكرية واجتماعية على الشخصية المرتبطة بالشيء.

– وبالنظر لما بين الانسان والأثاث من تاريخ مرتبط فان مفارقة أثاث ما لما يفترض له من مكان وهيئة ، يعد تفسيرا لانهيار مجتمع ما ، أو لإحدى طبقاته من كون أن الأثاث القديم المتوارث عبر الأجيال يحمل في ذاته ما يميز ما بين الطبقات والحقب من فروق ، بل

---

[1]: الحبيب السائح : مذنبون ، ص51

[2]: ينظر، سيزا أحمد قاسم : بناء الرواية ،ص102

[3]: ميشال بيتور : بحوث في الرواية الجديدة ، ترجمة فريد أنطونيوس ، منشورات عويدات ، بيروت –باريس،ط2،1982،ص53

[4]: المرجع نفسه ، ص57

أن في وجود بعض الأثاث دون سواه في أماكن دون سواها ما يوضح الفوارق الاجتماعية والنفسية.

– سواء من خلال القدرة على اقتناء الأثاث أو خلال طرقتنظيمه في المكان (بناء الديكور) ، إضافة إلى أن في حياة البشر أثاثا لأماكن الفضيلةوأثاثا لأماكن الرذيلة ، مما يعطيه أبعادا أخلاقية فالحبيب السائح يستحضر مؤثثات فضاءاته (قبو ، مقهى ، مقر الدرك، بيت أهل رشيد....) ليمرر من خلالها انتقاده للواقع المعطى فهو يستحضر أحداثا يوحى بهاالفضاء دون الحاجة إلى سردها وذلك لمنح النص الروائي خصوصيته ، والانزياح به عن البناء التقليدي للرواية والقائم على السرد الخطي وجعل الاحداث تنبثق من الفضاء ومن مؤثثاته حيث نجده يصف مؤثثاته ، وهذه المؤثثات لم تحضر في النص مجرد ديكور يؤثث المكان ولم ترصد لذاتها ، وإنما تتشكل من خلالها العلاقة بين الواقع و التاريخ ، فيعتبر وصف الاثاث وسيلة للنفاذ إلى التاريخ ، أي العلاقة بين داخل النص وخارجه .

– يمكن القول : إن مؤثثات الفضاء ليست ديكور فقط ، وإنما هي ترجمة لدواخل السارد وما يعتمل فيها من أحاسيس ومشاعر وترجمة لحنينه إلى الزمن الماضي وإدانة الحاضر الذي افتقدت فيه هذه المؤثثات [1]، ولم يعد المكان الموصوف مجرد ديكور وإنما أصبح هذا المكان ومؤثثاته كيانا قائما بذاته ومعبرا عن الهوية ، وكيانا جماعيا بالإضافة إلى كونه يمنح النص الروائي جمالية خاصة ، ومقصد المؤلف يتلخص في محاولته احياء الماضي والتذكير به وكل ذلك غير مخبر عنه مباشرة في الرواية ولكننا نستشفه من خلال المؤثثات الموصوفة ومن خلال لغة الوصف كنوع من الحنين الى ذلك المكان والزمن المفقودين ، ومن هنا سندرس أثاث رواية (مذنبون) انطلاقا من عدة فضاءات تم ضبطها في الرواية وهي : القبو و المقهى و مقر الدرك و بيت أهل رشيد و بيت الامام اسماعيل ، وبما ان اسلوب تقديم المكان من خلال مايشغله من أثاث هو الوصف ، فان هذا التحليل كفيل بكشف الدلالات التي ينهض بها الوصف في الرواية ، وهذا لا يأتي إلا عبر القيام بعملية جرد لأثاث هذه الفضاءات .

[1]: ينظر ، حورية الظل : الفضاء في الرواية العربية الجديدة ، ص.321

القبـــو	مشغل النجارة لأحمـد	مقـر الـدرك	المقهـــى(بور كبة)	بيـت أهـل رشيـد	بيـت الامـام اسماعيـل
-رفـو ف خشبيـة عليهـا قنينـات النـبيـذ صنـاد يـق – أكيـاس آلات - نجارة قطع غيار- أكوام من الخشب علب البرنيق والدهن[1] .	-جدران غير مطلية خزانة آلات وزوايا قياس، مساطر مطارق خشبية من النوع القديم[2]مقصو رة صغيرة . جدول زمني معلق في السبورة الصغيرة، المصباح المكتبي، المذياع[3].	-مكتب،آلة كاتبة فوق طاولة صغيرة سبورةخشبية غير مطلية للتنشير مخرسة بالتآكل،مدفأةمازوتيةباردة، سياج نافذة حديدي ذي طلاء متآكل صور بالأبيض والاسود ومكبرة ومعلقة بدبابيس ،هاتف من النوع القديم ملف مغلق[4]	-مصطبة خشبية ثلاجة كبيرة قديمة ثقيلة ذات أبواب خشبية، زجاجات المشروبات الغازية سداداتها الحديدية فناجين كؤوس، مصرف[5]	خزانة،سلم،غرفة رشيد بها رفوف فوقها كتب ،مكتب،كرسي ،غرفة أختيه محفظة مبروكة المدرسية فوق طاولة صغيرة مستديرة عليها دفاترها وكتبها وأقلامها ،مقص فرشاترسم،سريرينصغيرين، صندق لعب، الجنينة :الجزمة المطاطية مقص التقليم للأشجار،المنجل، القادم، الصهريج مسجن الأرانب[6]	سرير، خزانة خشبية ببابين كرسي ، طاولة تلفزيون ،ستريو رف كتب ومجلات حذاء كرة قدم صغير صورة مكبرة بالأبيض و الأسود للإمام اسماعيل غرفة الزهرةبها :سرير نوم زهريةور ود ،مرفع مكتب كرسي خشبي عتيق طاولة نظيفة[7] حاسوب طابعة غرفة زوجة اسماعيل لوحة آية الكرسي مجموعة من الافرشة والاغطية الصوفية بطانيات على طاولتين صغيرتين

					،خزانة ذات خشب بلون بني فاتح ،سجاد كبير وسائد، غرفة الحمام ، مطبخ، الحوش به انبوب مطاطي للماء ، دلاء[8]

1-الحبيبالسائح:مذنبون:ص79
2-المصدرنفسه :ص51
3-المصدرنفسه :ص285
4-المصدرنفسهص43-44
5-المصدرنفسه،ص20
6-المصدرنفسه،ص293-294
7-المصدرنفسهص177
8-المصدرنفسهص182

– يبرز الجدول أن الوصف ينتقل من داخل الفضاء الى محيطه (من الداخل الى الخارج) حيث نجد ان وصف بيت الامام اسماعيل وبيت أهل رشيد يبدأ من وصف الغرف الى وصف الحوش والجنينة ، ونجد هذا المثال في وصف بيت الامام اسماعيل "فلم يقض المساعد في غرفة الحمام سوى لحظات ليدخل المطبخ ويخرج من باب له مفض الى حوش فارغ إلا من بعض الدلاء وانبوب الماء المطاطي وقطة ماءت مرتكنة"[1]، يحمل كذلك الأثاث في فضاء بيت أهل رشيد دلالة البساطة وذلك من خلال المثال التالي:

– "حتى اشياء الجنينة التي خرج اليها هونًا ، فأبصر الجزمة المطاطية عند قدم الشجرة اللوز والمسحاة الواقفة بين شجرتي التين و الأجاص ومقص التقليم والمنجل والقادوم المركونة الى جدار الصهريج وخم الدجاج المهجور عند حائط السور ومسجن الأرانب المقفر كلها كانت قبل ثلاثة أعوام تنبض حياة وحركة "[2] بينما فضاء بيت الامام اسماعيل يحمل دلالة الجديد ونجد ذلك في الاثاث الجديد مثل (حاسوب):"وكان مساعده إذ فتح كناشته ليسجل معاينة عن الحاسوب والطابعة ، قرأ في أعلى الصفحة : الحياة ليست سوى مجموعة عناصر مترابطة تبدو غير منسجمة "، بينما يحمل اثاث مقر الدرك واثاث مشغل النجارة دلالة على القدم ، حيث نجد الاثاث قديم في مقر الدرك :"لكن الضابط باغته بأن رفع الورقة في وجهه قائلا :تعرفه؟" ، ناقرا بعقب القلم على خشب مكتب نظيف فوقه هاتف من النوع القديم عن شماله وملف مغلق عن يمينه "[3]، كما نجد في وصف اثاث مشغل النجارة في المثال التالي "فيما ولاه العامل الثاني ظهره منهمكا في عملية تمليس ، واسترعته الآت وزاويا قياس ومساطر ومطارق خشبية من النوع القديم معلقة هنا وهناك على جدران غير مطلية غطتها طبقات من غبار الخشب"[4]

اضافة الى مقهى بوركبة والأثاث الذي كان موجود في هذا الفضاء في عهد الاحتلال الفرنسي على الجزائر قبل أن تحول الحانة إلى مقهى من طرف (بوركبة)، "بل سحقها على المصطبة الخشبية التي جددها قبل عام بعد أخرى قديمة يوم رفعت تصعدت رائحة النتن

[1]: الحبيب السائح : مذنبون ، ص179
[2]المصدر نفسه، ص294
[3]المصدر نفسه ،ص44
[4]المصدر نفسه ،ص51

وظهر ما كانت تخبئه مما تحرشم من الفناجين والكؤوس زجاجات المشروبات الغازية ومن سداداتها الحديدية ومن ورق علب القهوة والسكر وحى الشمة في المساحة الفاصلة بين المصرف وبين الثلاجة الكبيرة القديمة "[1]، هذا الاثاث يدل على حالة المجتمع التي كانت سائدة في فترات الاحتلال الفرنسي على الجزائر ، إضافة إلى إن هذا الأثاث ماهو سوى مجرد أثاث مكدس كان موجودا في هذه الحانة التي حولت إلى مقهى عند نهاية الاحتلال الفرنسي كما أن أثاث القبو الذي هو عبارة عن: (كل ما رتب من أثاث قديم وحديث ومن صناديق وأكياس وآلات نجارة صالحة أو معطلة وقطع غيار وأكوام خشب ومن علب البرنيق والدهن)،فهو عبارة عن أثاث قديم وحديث .

2)- الطعام والشراب :

- يمكن للمأكولات والمشروبات أن توظف في الرواية توظيفا يحمل من الدلالات الاجتماعية، الطبقية والايديولوجية ما يمكنه أن يفرق بين الأفراد والطبقات والمجتمعات من حيث العادات والمزاج ، لكن اللافت للنظر في رواية (مذنبون) أن الحبيب السائح أغفل فيها حضور هذين العنصرين إغفالا شبه تام ، ففي مقهى بوركبة لم تذكر الرواية سوى القهوة ، ونجد ذلك في المقطع : " فكز ميمون فكيه ، وبحركة خاطفة قدم له فنجان القهوة فوار وأمره : أشرب ! أتباع الساسة جميعا ليسوا سوى قطيع " [2].

– كما أننا نجد عند صعود أحمد إلى السطح وحيدا متعب الوجدان يتذكر أيامه مع زوجته حورية حيث يقول : " ثم قضينا سهرتنا على شاي ومكسرات وحديث مهموس وإشارات ولمسات غرام " [3] وعند مجيء رشيد إلى أحمد ليرى أخته نجاة التي نجت من المذبحة الشنيعة حيث قضى ليلة كاملة معه في القبو بعد أن تعشيا دون ذكر نوع العشاء والشراب ، فإن الحبيب السائح هذه المرة حجب هذين العنصرين حجبا تامًا ، لكن السرد يمر على هذا العشاء مرورا سريعا إذ يكتفي بالإخبار عن حدوث عملية التعشي دون تفصيلات

1- الحبيب السائح : مذنبون ، ص 20.
2- المصدر نفسه ، ص21
3- المصدر نفسه، ص73.

تخص المأكل والمشرب : " ورضيت له أن أمنحه ليلة يقضيها في القبو بعد أن تعشينا معًا ، ولم أسأله لماذا حينما ترجاني أن أتكتم عليه لدى بوركبة "1.

– ويرجع غياب وصف الطعام هنا إلى إنشغال الواصف (الراوي / أحمد) برشيد نفسه لا بالعشاء في في حد ذاته ، والشيء نفسه حدث في جلسة أحمد مع زوجته على مائدة الغداء والحديث عن رشيد في الفصل السادس ، فالسارد هنا لم يذكر لا نوع الطعام ولا الشراب الموجود على مائدة الغداء : " وعلى مائدة الغداء كنت قلت لزوجتي حورية : أن يكون رشيد قطع أربع سنين ثقيلة في جامعة الجزائر وسنتين آخريين في خدمة عسكرية كابسة كضابط صف " 2، كما أننا نجد عندما دعت فوزية زوجة خالد والدها بوركبة إلى بيتها حيث راحت تحضر الغداء الذي قدمته لوالدها ، بل أن السرد يكتفي بمجرد الإشارة إلى وجود الشاي فقط في الفصل الأول : " وعلى الفراش التقليدي تناولوا غدائهم متبادلين ملاطفات قصيرة خفيفة وعلى شاي بالنعناع تبادلوا جدالا وديًا عن مستشفى المدينة وتدني خدماته " 3.

–وهكذا فالحبيب السائح لا يفرغ هذين العنصرين مما يحملانه من دلالات اجتماعية ، وايديولوجية ونفسية فحسب ، وإنما يحجب حضورهما وكل ما تم ذكره كان وصفه شاحبًا ومقتضبًا من حيث المساحة النصية ، وهو ما حدث مرة أخرى مع العشاءالذي تناوله أحمد مع رشيد في القبو،إذ كان يمكن لهذا العشاء أن يشكل وقفة وصفية تأملية ، إلا أن كل ما نقرأه هو هذه الجملة : " فقد وضعت الورقة في جيبي جالسا على حافة السرير أستعيد طيفه واثقا صارما كما قبل ساعات يأكل الكسكس بمرق الخروف ويذكرني : بيني وبينه زمان آخر طبق تناولناه معا كان في دارنا يوم جئت تشيعني قبل التحاقي بالثكنة " 4، كما أننا نجد أن الوصف غائب في المقطع الموجود في الفصل الثالث حول كيس الحلوى الذي قدمه رشيد لأخته نجاة عندما زارها عند أحمد : " ومن جيبه أخرج لها كيس حلوى أضافه لها فوق العلبة " 5 .

– ومن هنا أدت هذه التقنية في الوصف إلى استحالة استخراج صورة وصفية لطعام ما أو شراب ما مهما كانت هيكلية .

1 -المصدر نفسه ص99.
2- الحبيب السائح ، مذنبون ، ص 187 .
3- المصدر نفسه، ص37.
4- المصدر نفسه ، ص 100 .
5-المصدر نفسه ، ص 101 .

3) - الطبيعة والعمران:

-لم يكن حظ الطبيعة والعمران في (مذنبون) أوفر من حظ الطعام والشراب من حيث الحضور والوصف ، فنجد الوصف للطبيعة والعمران كان قائما على كل الحواس فجاء الوصف لمظاهر الطبيعة في عدة مقاطع منها:في الفصل الثالث فالراوي (أحمد) يقول:«قبيل المساء صعدت إلى السطح وحيدا متعب الوجدان شغفني برودة الجو الكئيب ،فتذكرت من بين ما تذكرت أياما من تلك الأصياف التي بدت بعيدة لما كنت أنا وزوجتي حورية نطلع متعانقين (....)وتحت عين بدر باسمة أحيانا فأنعشتنا هبات النسيم الشمالية وفاجأتنا غالبا تساقطات عابرة خلال تلك الليالي الرعدية الثقيلة فتدثرنا عنها بجسدينا لحافا لبعضنا»[1]

– وبالطريقة نفسها عالج الكاتب من خلال أحمد وصف الجو وذلك عند سماع أحمد للطلقات النارية وخروجه من بيته في الفصل الأول من الرواية :«فأغلقت الباب البراني ورائي وركضت تحت سنا البرق يشقق الظلمة وقصف الرعد يغيب الصوت الفاجح . »[2] كما أنه يصف الجو وهو في الشارع: «كان الشارع موحشا بأنوار مكبوسة، وكان صدري مفتوحا للأنفاس ركضي لا أشعر بأي برودة وقد ألصق سيل الخريف الليلي على جلدي»[3].

–كما في هذا المقطع الذي يعطي فيه الراوي صورة وصفية لحالة الطقس أثناء الحديث الذيدار بين أحمد وبو ركبة :«فسكت ماسحا من على أنفه قطرة مطر سقطت من ظلة الحوش التي كانت أشعة الصباح الخريفية تخلل قصبها ،فأشرت إليه بالدخول إلى صالت الضيوف ،فاعتذر لي :هواء هذا الصباح الخريفي يشرح القلب ،وعلى السطح يكون منعشا أكثر[4]»– كما

نجد وصفا آخر للطقس في الجامعة من خلال نزهة ابنت العقيد بونيف و رشيد:«ففي مئات الخطى التي قطعاها جنبا الى جنب في ممشى ساحة الجامعة بين أشجار نخل هجين حدثته عن نفسها على رائحة مطر نزل»[5].

- كما أننا نجد في هذا المثال وصفا للطبيعة والعمران :«فيما كان التساقط يغسل الممشى الطويل الممتد من مدخل الجامعة إلى بناية المكتبة المركزية ،فأبدت له رضاها و همست محومة بعينيها في الفضاء المغيم :نزول المطر رذاذا ظل يغرقني في حنين رومانسي إلى طفولتي، كنت أتسمر من خلف زجاج نافذة غرفتي أرقبه يداعب حشيش حديقة البيت فتشرق

1- الحبيب السائح : مذنبون ص 73
2- المصدر نفسه، ص13
3- المصدر نفسه ،ص13
4- المصدر نفسه ،ص31
5- المصدر نفسه ،ص258

بلاطات الممرات،وظل عصف الريح ،وهو يهيج الأشجار ،يثير في نفسي شوقا إلى شئ مجهول [1]» وفي وصف آخر الطبيعة والعمران نجد :«إذ وضع يديه على حافة جدار السطح زفر وراح يمسح حي المحطة العتيق ،ثم التفت خلفه فبدت له عن يمينه تلك السهول الشاسعة تمتد حد البصر وعن شماله كانت حقول الزيتون المهملة لا تزال مصفوفة مستطيلات ومربعات في عناية مليمتريه تصعد وتهبط في اتجاه الغابة المحيطة بالضاحية [2]، » ،وهناك وصف للعمران عندما كان بوركبة يبكي خرابه الداخلي لأحمد: «أرى قراميد بيوت الحي غسلتها أمطار الليلة الماضية[3] .»

– وفي مقطع آخر نجد السارد يصف تصميم بيته فيقول:«إلى أن أقعدها المرض الذي أذهبها فحرمها أن تقر بي عينا وأن تنعم طويلا ببيت كبير واسع، من الطراز الذي شاد به المعمرون تلك المدن الصغرى وسط الحقول الشاسعة المزروعة حبوبا أو المغروسة اشجارا مثمرة وكروما أسس على طابق تحت أرضي للمدخرات والمئونة كما للقيلولة أيضا في قيظ الصيف ،شغل منه الثلث مساحته قبو معتم قليل التهوية لتعتيق الخمور المخزنة للاستهلاك المنزلي[4] »

- لكن وصف العمران في (مذنبون) يكون شبه مغفل لأن جل المشاهد دارت في أماكن مغلقة كالبيوت ومع وضعية الراوي المشارك ،فإن كل قطع في الزمن يترتب عنه حتما قطع في مكان ،مما يؤدي إلى حجب الأماكن الخارجية من شوارع ومبان.

- من خلال هذه النماذج المختارةترى أن الوصف في (مذنبون) يقوم علىألفاظ من المتداول في الثقافةالشعبية ،فجاء الوصف بسيطامن حيث المصطلح وحتىالتركيب اللغوي .

- كما أن الراوي وصف لنا الطبيعة من خلال إعطاء صور حول حدائق بعض المنازل مثل منزل الإمام اسماعيل منزل أهل رشيد،فحديقة الإمام اسماعيل مجسدة من خلالالمقطع «واذا فتحت لهما الباب المؤدي إلى الجنينة ونزلت الدرجات الثلاث تسبقهما الممر الاسمنتي الممتد إلى نهاية جدار السور الحجري، كان المفتش حسن حدد بلمح بصر أشجار الليمون والتين والدالية النافضة ...نظرات على المربعات الصغيرة المعدة للغرس.[5]..»

---

[1] الحبيب السائح: مذنبون ، ص259
[2] المصدر نفسه، ص31
[3] المصدر نفسه ،ص32
[4] المصدر نفسه، ص74
[5] الحبيب السائح: مذنبون ، ص182

- أما حديقة منزل أهل رشيد فهي مجسدة في هذا المقطع :«فأبصرت الجزمة المطاطية عند قدم شجرة اللوز والمسحاة الواقفة بين شجرتي التين والإيجاص. [1]»

- فوظيفة الوصف هنا تختلف عنها في المقاطع الوصفية التي تتناول المنازل ذلك أن وظيفة الوصف عند تقديم المنازل هي تحديد إطار وقوع الأحداث قبل كل شيء ،أما وظيفة هذه المقاطع فقد اختلفت فهي لا تمثل الإطار العام للحدث فالمكان محدد مسبقا ولكن وظيفتها هي أن تصاحب مشاعر الشخصية وتعكسها ،ولا شك أن هذه الوظيفة تعود إلى الأصل الرومنسي للإحساس بالطبيعة ودورها ذي البعد الرمزي عند الرومنسيين الذي أدى إلى امتداد الصور الرومنسية عبر العصور ،أما عند الواقعيين فإن الأشياء هي التي غزت الرواية واحتلت مكان الصدارة ،وأخذ دورها يكبر ويتضخم، وتفاقم حتى أصبحت هي الشاغل الأكبر لكتاب الرواية الجديدة .

–لقد أصبحت الأشياء لا تعبر عن الإنسان ،وإنما حققت استقلالها عنه وإحتلت مركز الصدارة في حين همشت الشخصية،[2]

- فالحبيب السائح لا يكتفي بالحطوط العريضة في وصفه للأشياء والأماكن وإنما يهتم بالجزئيات والتفاصيل ،ويركز على الأشياء ويهمش الشخصيات.

- إن الفضاء في الرواية الجديدة أصبح خاضعا لتطور رؤية الكاتب الجمالية والمعرفية للواقع، فتغيرت طرق بنينته في النص الروائي، فالكاتب يغير ويجرب أشكالا متعددة للفضاء تبعا لتغير تناول مكونات النص الروائي فنجد عنده الفضاء ذو المرجعية الواقعية والفضاء المتخيل فماهي طرق تبنين هذين الشكلين الفضائيين؟

- تتعدد الأشكال الفضائية في الرواية العربية الجديدة فنجدها تتراوح بين فضاءات ذات مرجعية واقعية وفضاءات متخيلة واستيهامية،وهذه الأخيرة لا تحيل على ما هو متعين في الواقع ،وإنما تنفتح على الحلم والعجائبي والكوابيس فيكون مصدرا لمشاعر الألفة أو مولد لمشاعر الخوف والرهبة حيث يتمظهر الفضاء من خلال أحلام السارد وذكرياته

[1] المصدر نفسه ص294

[2] ينظر ، حورية الظل :الفضاء في الرواية العربية الجديدة ، ص.102

وأزمنتهالطفولية ويوجده الكاتب من خلال لغة تمتاح من الشعر الشيء الذي يؤشر على حضور الفضاء كبنية في المحكى الروائي ويتسم هذا النوع من الفضاء بشعرية خاصة تنزاح به عن الواقع العياني وتجعله غير خاضع للتأويل الأحادي [1]

- تعتبر رواية(مذنبون) نموذجا للرواية الجزائرية الجديدة فتتعدد أشكال الفضاء فيها وتتباين مفصحة عن الخط التجريبي الذي ينتهجه الكاتب حيث يستحضر جغرافيته الروائية بطرق مختلفة تقوم بوظائف خاصة للتعبير عن خبرته الجمالية وخطه الفني الذي يتبعه.

- وقد أصبحت أشكال الفضاء في الرواية الجديدة أساسية في بناء الرواية ،ولم تعد تكتفي بتأطير الأحداث و الشخصيات ،وإنما تتكاثف مع باقي مكونات النص الروائي لتسهم في بنيته وسنحاول في تحليلنا أن نكتشف كيف يتم ذلك وتأسيسا على ما سبق نطرح الأسئلة التالية :ماهي أشكال الفضاء في رواية مذنبون؟ وماهي طرق بنينتها ؟

[1] المرجع السابق، ص76

ب / – الفضاء ذو المرجعية الواقعية :

–فالمكان الواقعي هو ما كان له وجود حقيقي في جغرافية الإنسان الطبيعية المعروفة والمتداولة التي لا خلاف علي تحديدها ويستدل عليها من خلال منطق التآلف والعيش والتداول الحيوي بين الأشخاص المتعين حضورهم دائما في المكان علي نحو دائم وشامل وكلي[1].

– حيث يتحدد المكان الواقعي عادة بكل ما له مرجعية حقيقية وواقعية معروفة في سياقها الجغرافي والإنساني[2]

– فالفضاء ذوا لمرجعية الواقعية يجد مرجعه في الواقع. لكنه يطرح إشكالية العلاقة بين الفضاء في الواقع والفضاء في النص الروائي،أو العلاقة بين الكلمات والأشياء أو بين النص والعالم [3].

– ويتراوح الفضاء ذو المرجعية الواقعية بين الانفتاح والانغلاق فالأول يتلخص في. المقاهي الشوارع الساحة الكبرى،سطح المنزل أحمد وغيرها من الفضاءات التي تعتبر فضاء للتنقل والحركة واللقاء في حين نجد الفضاء المغلق يتلخص في البيوت ، القبو ، مقرالدرك،مشغل النجارة وغيرها من الفضاءات ،أما الرواية الجديدة ، فإنها نتيجة اعتمادها طريقة خاصة في القول تمكنها من التعبير عن الواقع من خلال وسائط جمالية خاصة تخضع لرؤية الكاتب الجمالية والفكرية فالطرق الكتابية لتصوير الفضاء هي التي تجيل على دلالته وتحمل قصد أو معنى وليس الفضاء في حد ذاته والسؤال المطروح هنا كيف تمت بنينة الفضاء ذو مرجعية الواقعية في رواية مذنبون .وكيف أصبح الفضاء مسهما في سيرورة السرد وليس مجرد مؤطر للأحداث والشخصيات ؟.

1) – الفضاء المفتوح الخارجي :

–إن ما يميز الفضاء الخارجي في الرواية العربية الجديدة بصفة عامة ورواية مذنبون بصفة خاصة هو طريقة بنيته حيث أصبح يقدم من خلال الرؤية السطحية والحياد التام

1 - ينظر محمدصابر عبيد ، سوسن البياتي جماليات التشكيل الروائي، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا اللاذيقية،دط،ص237.
2 - المرجع نفسه ص238.
3 - ينظر،حورية الظل: الفضاء في الرواية العربية الجديدة ص71.

واللغة المجردة الجافة لتبئير الأمكنة الخارجية والأشياء والشخصيات التي تحتلها فالتعبير عن الواقع لم يعد بشكل مراوي ، كما هو الأمر في الرواية التقليدية وإنما من خلال طرق فنية تؤشر على هذا الواقع[1] .فمن هذه الأماكن المفتوحة أو تلك التي تشكل مسارا سرديا مهما في النص الروائي نجد الشوارع .الساحات المقاهي...وغيرها من الأماكن.

أولاً : المقهـــى :

–يعتبر فضاء المقهى ملتقى العامة من الناس ،يجلسون فيه لقضاء أوقاتهم يتشاورون ويتباحثون في أمورهم الحياتية ،وربما كانت مثل هذه الأمكنة هي الأنسب لطرح لقضايا السياسية التي تمتاز بنوع من السرية يلجا إليها الأشخاص منعا من إثارة الشبهات التي قد تلحق بهم بسبب حساسية هذه الموضوعات ،فيكون مأوى مناسبا لتبادل هذه الآراء [2].

–فمن المقاهي المذكورة في روايتنا مقهى بوركبة والتي كانت أثناء الاحتلال الفرنسي على الجزائر عبارة عن حانة لكن بعد نهاية الاحتلال الفرنسي حولها بوركبة إلى مقهى لكن نجد الراوي هنا لم يذكر لنا سوى القهوة في هذا المقهى حيث يقول السارد" وتناول قطعة سكر هرسها بين أضراسه الاصطناعية فكز ميمون فكيه وبحركة خاطفة قدم له فنجان القهوة فوارا وأمره اشرب إتباع الساسة جميعا ليسو سوى قطيع"[3].

– فمقهى بور كبة كانت أثناء الاحتلال الفرنسي عبارة عن حانة لكنه حولها الى مقهى بعد نهاية الاحتلال وذلك من خلال قول السارد "فيما همس احد الزبونين إلى الثاني أصبح هنا اعرفه منذ دخلت أول مرة هذه القهوة التي كانت حانة فرقع بابها بطلقات من رشاشه الذي نزل به من الجبل من غير أن ينتظر ترخيصا له مثل بقية الجنود الذين استفادوا من حانات الأقدام السود أياما بعد الاستقلال حولوها إلى مقاه ومحلات للتجارة وغرف للنوم"[4].

– ويصف الراوي الأثاث الموجود في هذا الفضاء (المقهى)من خلال هذا المقطع"بل سحقها على المصطبة الخشبية التي جددها قبل عام بعد أخرى قديمة يوم رفعت تصعدت رائحة النتن وظهر ما كانت تخبئه مما تهرشم من الفناجين والكؤوس وزجاجات المشروبات

1- المرجع السابق، ص84.
2- ينظر- محمد صابر عبيد – سوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي، ص 250.
3- الحبيب السائح : مذنبون ، ص 21.
4- المصدر نفسه ، ص 22.

الغازية ومن سداداتها الحديدية ومن ورق علب القهوة والسكر والحثالة وحتى في المساحة الفاصلة بين المصرف وبين الثلاجة الكبيرة القديمة ذات الأبواب الخشبية الثقيلة"[1].

– فتبئير مؤثثات فضاءات المقهى يفصح عن تشييئ الإنسان وأنسة الأشياء وهي تقنية تعبر عن تشيؤ الإنسان وفقده حريته واغترابه في العالم واحتلال الأشياء مكانه .

– يرى البعض أن المقهى بحد ذاته هو كرسي لتأمل الشارع ويرى البعض الأخر انه من الأمكنة التي تملك خصوصيات تجعلها مادة مهمة في الرواية بشكل عام[2].

– فالمقهى هنا في هذه الرواية يشكل ملتقى فئات مختلفة تدخله عناصر تتزود بمعلومات جديدة عن أحوال المنطقة بينما عناصر أخرى قد احترفت السمسرة بالكلام ،وقد كان هذا المكان هو الملائم لطرح القضايا السياسية الان ماتعرضه هذه هي حال الجزائر في الفترة الدموية، التي لايزال أثرها في نفوس الجزائريين باق ،فالأحداث التي تصورها لنا الرواية مليئة بالألم والخوف واللاثبات حيث تعرض الرواية المجزرة التي ألمت بالجزائريين في فترة التسعينيات، ويتجلى الألم والخوف من خلال نفسيات الشخوص المضطربة ،حيث نجد هذالمقطع المعبر عن الألم واللاثبات والقلق.

– "فتغمز إليه أبكرت فرشف ثم قال بلا ثقة القلق ياسـي الحاج ،فبسط يديه معا على المصرف وسأله بامتقاع الم تدع أنت أيضا ربك أن يدمر هذا البلد بزلزال أو أن يبتليه بحرب أهلية؟ فتعجب له نافيا أنا أعوذ بالله أبدا فزمجر فيه اجبني لاننا جميعا عاجزون عن مواجهة ذلساستنا. فسمر يده على الفنجان ينظر إليه في بلاهة مطلقة [3]" .

ثانياً :الشارع

–تم استحضار فضاء الشارع من خلال وجهة نظر السارد الذي قام بوصف الشارع"كان الشارع موحشا بأنوار مكبوسة"[4]،فالشارع هو مكان لكل المارة إذا اتصف بصفة العدوانية من خلال كلمة " موحش ".

1- الحبيب السائح : المرجع السابق، ص20 .
2- ينظر – صالح إبراهيم : الفضاء ولغة السرد ، ص 32.
3- الحبيب السائح ، مذنبون، ص 21.
4- المصدر نفسه ،ص 14.

– من خلال هذا المقطع "وبينما كانت حليمة راجعة قاطعها بوركبة وطلب إليها أن تعيد الزغردة ففعلت لكنها أجهشت فأطلق في الهواء ثم وجه رشاشه نحو المتجمعين على الرصيف ففككت عن نجاة تلحق بي"[1] .

– يبدو أن السارد تجنب إدراج المكان في السياقات الجاهزة والمباشرة ليجعل اللغة تقوم بدور طليعي ،فيعمق رؤيته للفضاء وينزاح بالكتابة عن التنميط والتكلس لتحمل رسالة وقصدا ومعنى فتقوم لغة الكتابة والمتمثلة في اللغة الحيادية بترجمة قصده ،وكذلك يبرز كون الكاتب يحقق وببراعة جمالية معهودة فيه الانحراف عن السرد إلى الوصف لتتبثق المعاني من الفضاء الموصوف فيصبح الفضاء غير مؤطر للشخصية فقط، وإنما مؤثر فيها ويفرض عليها تصرفات خاصة كما انه يجعله محملا بأبعاد دلالية الشئ الذي يجعله موقفا للزمن وإنما مسهما في السيرورة السردية.

– وهناك مقطع آخر"راميا خطوته بسطوة قاهرة نحو بيتهم ،في شارع كان قبل أربعة أعوام قد لفه جو رصاصي وهو يغادره بفتق في الروح "[2]يدل على حالة الحزن والألم التي يشعربها رشيد اثر المجزرة التي قام بها ساسة فاسدين راحت عائلته ضحيتها وعن حالة جو الشارع المخيفة .

– ونجد وصفا آخر لفضاء الشارع في الفترة الدموية التي لحقت الجزائر والتي لايزال أثرها في نفوس الجزائريين باق ،ولاتزال مشاهدها تتوارد على الذاكرة الجماعية "ومن الشارع نفسه الذي كان قبل ثلاثة أعوام مشاه نحو المحطة اخر مرة وفي قلبه قرح بطعم الحمض فرأى العابرين والواقفين واجمين بصمت التراب ولون الموت"[3]يصف لنا السارد القرح الذي في قلب رشيد وحالة المجتمع الجزائري المؤلمة والمحزنة .

– وإلى جانب فضاء المقهى وفضاء الشارع هناك فضاء الساحة والمعروفة في رواية(المذنبون)بالساحة الكبرى وهو مكان التقاء مناسب لشخصيات وممتاز لنشر الآراء وتوضيحها ولاسيما تلك التي تتعلق بالرفض القاطع لمشروع سياسي الغرض منه تنمية المصلحة الفردية على حساب الشعب،ولقد شهدت هذه الساحة الكثير من المظاهرات سواء

1 - الحبيب السائح ،ص132.
2- المصدر نفسه،ص 282.
3- المصدر نفسه، ص282.

في فترة الاحتلال الفرنسي على الجزائر أوفي فترة التسعينيات (الفترة الدموية) التي مرت على الجزائر حيث التقى فيها ابناء الشعب الجزائري تعبيرا عن آرائهم .

– فنجد هذا المقطع من تذكار احمد حيث يقول"فذكره ذلك مثلي بما أثره الساحة التي بدت لي كأنها تتأهب ليوم من أيام استنفارها الكبرى .بمكبرات الصوت ومكتفاتها خلال تلك التجمعات والمظاهرات الاحتجاجية والاعتصامات التي لهجت فيها الألسن بالوعد والوعيد وصاحت الخناجر بالوحر والزفير"[1]،يصف لنا غضب الشعب الجزائري حيث قام الشعب بالمظاهرات والاحتجاجات .

– كما نجد السارد يصف لنا فرحة الشعب الجزائري اثر انتظارهم نزول أولى طلائع النازلين من الجبال من فتيان المنظمة السرية "وبعد ثلاثة أعوام كان ميمون مثلي من المغمورين في الساحة بتيار الحشد الأكبر من الأطفال والنساء والرجال ومن الفتيان مثله الذين كانوا وضعوا أسلحتهم البيضاء من الفؤوس والخناجر والسيوف والآلات الحادة والسلاسل لرد هجمات فتيان المنظمة السرية المسلحة وبقايا أبناء غلاة المعمرين فأنشدنا الليل كله وغنينا فرحا بالحدث الأعظم،وانتظرنا كما الناس جميعا حتى الضحى فظهرت لنا أولى طلائع الجنود النازلين من الجبال بألوان الغابة في انتظام استعراضي بديع فتفجر في قلبي كما في قلب الحشود ،تحت الزغاريد وظلال الرايات،شلالات من الفخر والعزة "[2] .

– كما نجد الساحة تعتبر عن حالة الخوف والهلع من الهول القادم اثر الخطاب الذي ألقاه الساسة الفاسدين(لحول، الشيخ الازرق..)حيث يقول الراوي " فصاح الواقف جنب لخطيب من على المنصة نفسها وهذا الآن أخونا لحول، فجهر في لهجة المحرضين المتمرسين بصوت قوي ثابت وواخز رافعا يديه نحو المعتصمين يقول لكم الشيخ الازرق عقيدتكم في خطر ،فانهضوا إلى الفريضة الغائبة اليوم اليوم لا غدا ولا بعده ،فرج جسمي وعيدهم وارغب قلبي أصواتهم ثم صعق روحي شعور بالهول القادم "[3].

1- الحبيب السائح ، مذنبون، ص 114.
2- المصـدر نفسه ، ص 115.
3- المصـدر نفسه ، ص 123.

–وفي موضع اخر نجد الساحة مطبقة بالصمت والفراغ والخراب من خلال قول الراوي - (فحنن بوركبة على كتفه((بلخير)) في صمت فراح يسمح بنظراته الدامعة فضاء ساحة مكدودة)[1].

– كما يصف لنا الراوي الدور الذي تلعبه الساحة حيث تعتبر مكان لنشر الآراء ومن بينها التي تتعلق بالانتخابات في هذا المقطع إذ يقول الراوي: (اذكر أن بوركبة لم يصعد من يومها أي منصة نصبت في الساحة التي ظلت كلما غصت بالحشود والخطباء .تعلن إلى سكان المدينة ان موعدا انتخابيا على الأبواب نادرا مالم يكن حملة رئاسية بمرشح وحيد .حتى إذا انفجرت حوادث أكتوبر،قبل احد عشر عاما استعادتها منصتها حياتها بألوان أخرى مختلفة وبخطابات جديدة مباشرة محرضة قاسية وعنيفة)[2].

– إن المكان نتاج السرد ،كما يسهم بدوره في خلف السرد ،فيتأكد بذلك إسهام الفضاء في بنينة النص الروائي وفي السيرورة السردية [3]

– وما يحدث في فضاءات الحبيب السائح الروائية يجد مبررة في الإيديولوجية السائدة ،فيعبر بذلك عن انكسارات الأمة الجزائرية وطموحاتها .

– ومن ثمة فان الفضاء الخارجي يقابله فضاء داخلي مغلق،فماهي خصوصيات هذا الأخير؟، وكيف تمت بنينته في رواية "مذنبون" ، وكيف استطاع ان يكون فضاء الاحتضان فضاء اخر وهو فضاء الجسد؟..

1- الحبيب السائح ، ص 125.
2-المصدر نفسه ، ص 119.
3- حورية الظل : الفضاء في الرواية العربية الجديدة ، ص104.

2) – الفضاء المغلق (الداخلي)

– يشكل الفضاء المغلق والفضاء المفتوح قطبين متعارضين ،لذلك اختلفت وظيفة كل منهما في المحكي الروائي ،وقد استحضرت الرواية التقليدية الفضاء المغلق فاكتفت بجرد مؤثثاته والشخصيات التي تحتله مع وصف أفعالها وحركاتها في هذا الفضاء ،أما مع الرواية الجديدة،وفي سعيها الرافض لتقنيات الرواية التقليدية ومحاولة منها لجعل الفضاء مساهما في بناء المحكي فقد تنوعت عن طرق تبنين الفضاء ذي المرجعية الواقعية والتي أصبحت تمنح النص جماليته وتحيل على دلالة خاصة لان الفضاء ،أضحى بنية في النص الروائي حيث يسهم في السيرورة السردية ،أما وظائفه فتعدد فمرة نجده يحمل الأمان والدفء كالغرف والبيوت وأخرى يتسم بالعدوانية والخوف والحزن كالمقابر والسجون والبيوت المليئة بالأشباح[1]

–وصف الكاتب الأماكن المغلقة كالبيوت،ومشغل النجارة،ومقرالدرك،وسنمثل لتلك الأماكن ،فالبيوت نجدها في هذه الرواية متعددة وسنركز على بيت الإمام إسماعيل وبيت أهل رشيد.

–فالفضاء البيتي قد أتاح لنا بدوره نماذج ملائمة لدراسة قيم الألفة ومظاهر الحياة لداخلية للأفراد الذين يقطنون تحت سقوفها ،كما أمكننا من خلال عرض واستنطاق مكونات هذا الفضاء أن تتعرف على نوعية الصفات الطبوغرافية المسندة للبيت ومن ثم البحث في امتداداتها الرمزية والإيديولوجية .[2]

– فمن خلال بيت الإمام إسماعيل نجد السارد قد وصف هذا البيت وصفا دقيقا ابتداء من الغرف إلى الحوش إلى الجنينة مع التنبيه إلى مؤثثات هذا الفضاء،وسنتطرق إلى مقطع يصف فيه إحدى الغرف بأثاثها وذلك عند مجي المفتش حسن لتفتيش بيت الإمام فيقول السارد" ففتحت له الغرفة الثانية مجيبة منذ أن ودعني أسبوعا على مذبحة عائلته فرمى آهاه ثم انشغل عنها بصورة الإمام مغلقة في وسط الجدار مقابل سرير نومها بوجهه المسالم حاسر

1- المرجع السابق ، ص 106.
2- ينظر، حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ، ص 42.

الرأس بشعر يبدوا اسود أملس ممسد إلى أسفل .....ثم مد يده إلى مرفع مكتبها المكون من كرسي خشبي عتيق ومن طاولة نظيفة منظمةعليها حاسوب وطابعة فظهر لها أخمص مسدسه ،واخرج كتابا قرأ عنوانه ملتفتا إليها بإعجاب المواقف لم أكن اعلم انه للأمير عبد القادر"[1]، لقد اتضح لنا عبر هذا المقطع بعض مكونات بيت الإمام إسماعيل حيث إن أكثر الأشياء الموصوفة أهمية وأوفرها حظا من التفصيل هي صورة الإمام إسماعيل ،الحاسوب والطابعة إضافة إلى الكتب الموجودة.

– أما فيما يخص بيت أهل رشيد فهو وصف مدقق كذلك لكل الغرف والأثاث الموجود بها حيث يقول السارد : " وقابله جنب الخزانة السلم المطوي الذي كانت أمه تستعمله أيضا لرفع الأغطية وانزالها ، فألهبت جوانحه لوعه تذكار نجاة إذ عثرت خلفه في الجنينة وبكت فعاد إليها وحملها واصعدها عبر درجاته ثم رفعها من إبطيها لتطل على العش .فرات ثلاثة أفراخ زغبا فاتحة مناقيرها تظهر على إنها ستموت عطشا من كثرة لهثها"[2] إلى جانب وصف الأثاث الموجود في هذا المكان فهناك وصف لقيم الألفة والمحيه الموجودة بين رشيد وأخته نجاة وعائلته كلها وكذلك نجد في مقطع اخر وصفا لقيم الألفة والفرح بين العائلة، قد استيقظ لحركته فانفتح له باب غرفة أمه فاستحالت له كما كان دخل عليها عائدا من الجامعة ثم من الثكنة اخر مرة إذ قامت فقبلته وتحسسته وسألته أخباره آخذة يده في يدها بفزع لا يخفى فلم يهتد إلى منطق به يوقن قلبها فاغرورقت عيناها فطمأنها بصوت موارب السلامة من الله [3]

–"تعتبر البيوت كفضاء هام في كثير من النصوص الروائية لانها جزء من الدلالات المختلفة التي يمكن إن يحملها النص كما تشكل بعدا فنيا خالصا"[4].

– تتشابه البيوت في هذه الرواية من حيث التصميم والأثاث حيث تتكون منعدة غرف ومطبخ وجنينة.

– وهكذا فمن الخطأ النظر إلى البيت كركام من الجدران والأثاث يمكن تطويقه بالوصف الموضوعي والانتهاء من أمره بالتركيز على مظهره الخارجي وصفاته الملموسة مباشرة الآن

1- الحبيب السائح :مذنبون ،ص 172 .
2- المصدر نفسه، ص 292.
3- المصدر نفسه ،ص 291.
4- قرطبي خليفة : المدينة في الرواية الجزائرية العربية ،رسالة ما جشير،جامعة الجزائر 1995،ص217 .

هذه الرؤية ستنتهي على الأرجح إلى الإجهاز على الدلالة الكامنة فيه وتفرغه من كل محتوى .

– فالبيوت والمنازل تشكل نموذجا ملائما لدراسة قيم الألفة ومظاهر الحياة الداخلية التي تعيشها الشخصيات،وذلك لأن بيت الإنسان امتداد له كما يقول ويليك:

" فانك إذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان،فالبيوت تعبر عن أصحابها وهي تفعل فعل الجو في نفوس الآخرين الذين يتوجب عليهم أن يعيشوا فيه" [1]

– ومن الأماكن المغلقة أيضا مشغل النجارة لأحمد وقد كان وصفه وصفا دقيقا لمكوناته حيث يقول :" بدا الضابط لخصر في لباسه المدني ،على حرج إذ وقف في باب مشغلي مبصرابعين رجل الأمن في أشياء الفضاء مفروزة من بعضها بحسب طبيعتها ووظائفها فشم بالتأكيد مزيجا من رائحة الخشب والبرنيق ....واسترعته آلات زوايا وقياس ومساطر ومطارق خشبية من النوع القديم معلقة هنا وهناك على جدران غير مطلية غطتها طبقات من غبار الخشب .فانتهى إلى مقصورتي الصغيرة في ركن المشغل الخلفي"[2].

– إلى جانب فضاء مشغل النجارة هناك فضاء اخر وهو مقر الدرك حيث يصور لنا السارد مكونات أو مؤثثات هذا الفضاء والتي هي من النوع القديم حيث يقصدها لبعض لإجراء لتحقيقات وللاستجواب حول بعض القضايا ويتضح ذلك من خلال هذا المقطع "فسأله عن مكان تواجده لحظة سماعه الطلقات النارية مثلا عنه بعلم بين أصابعه ....المتأهب في ركن المكتب لرقن محضر السماع على آلة كاتبة قديمة فوق طاولة صغيرة "[3]، فهذا الوصف كان أثناء استجواب الضابط لخضر لبوعلام حول الطلقات النارية التي سمعها

– ان الفضاء الخارجي في هذه الرواية يحمل في طياته عدوانية محققة تصيب بآثارها السارد

والشخصيات،وفي المقابل نجد فضاء معارضا للأول في كل شيء سواء من حيث طبيعته أو من حيث أثاره إذ تتمظهر طبيعته في كونه فضاء مغلقا أما أثاره فتتمثل في تحقيقه الأمان والحماية للذات والشخصية فيوظف الحبيب السائح هذين الفضاء ين في نصه الروائي ببراعة نادرة ،فينقلهما في تناقضهما ،سواء من حيث دلالتهما في المحكي ،او لطبيعية الشخصيات

1- حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ، ص43.
2- الحبيب السائح :مذنبون، ص51.
3- المصدرنفسه، ص43.

المتركزة فيهما ،لكن مايوحد بينهما هو مرجعيتهما الواقعية ورؤية السارد لهما وطريقة تبنينهما وإسهامهما في سيرورة السرد لأن كلاهما يستحضران ويباران من قبل الذات عن طريق لغة مجردة وحيادية.

– ومن ثمة يسعى السارد إلى تحقيق معرفة كاملة بفضاء الجسد الأنثوي ،في الفضاء المغلق ،فتمكن من إيجاد فضاء داخل فضاء اخر فضاء الجسد داخل الفضاء المغلق عن طريق تبئير الجسد الأنثوي ،والتوحد به ووصفه في أوضاعه المختلفة فكان البؤرة التي تتسلط عليها عدسة السارد واستطاع الجسد ان يستحوذا على مساحة الفضاء المغلق ويضفي عليه إشعاعا خاصا اما المؤثثات فقد استحضرها كمجرد خلفية لمشهد الجسد بطريقة عرضية وقد يلجا إلى تغيبها تماما في بعض الأحيان ليبتعد بذلك عن تنسيق التراتيبي للفضاء المغلق الذي عرفته الرواية التقليدية

– وما جعل السارد يبئر الجسد الأنثوي في الفضاء المغلق هو كون هذا الأخير يحقق الأمان المفتقد في الخارج الشي الذي جعل اغلب المؤلفين يقومون :(بالمقابلة بين الأمان الذي يكون في الغرفة المغلقة والطابع العدواني المميز للخارج .) وبتعدد الفضاء المغلق في النص الروائي يستتبعه بالضرورة تعدد في النساء المبارات واستجابة لرؤيته فانه لايمتهن هذا الجسد وإنما يعمل على الرفع من شأنه.

– ومن هنا ينبثق عالم الجسد أما الفضاء المغلق ذو المرجعية الواقعية فيظل مجرد ذريعة لاستحضار الأنثى ،لأن فضاء الجسد هو ما يحظى بالاهتمام الكامل ،أما المكان فيظل على الهامش[1].

1- ينظر- حورية الظل : الفضاء في الرواية العربية الجديدة ، ص108.

– سنحاول من خلال الجدول التالي توضيح التعدد في القضاء المغلق والنساء المبارات

الفضاء المغلق	النساء
القبو	فلة
منزل احمد	حورية
منزل اهل رشيد	الزهرة

– فالفضاء المغلق يتيح للسارد اللقاء بالمرأة ليجعل من جسدها مرتكزا يسلط عليه كاميراه الذاتية الأجل التقاط تفاصيله وهذا المكان بطبيعته الآمنة يمكنه من تبئير الجسد بكل أوضاعه وهو الشي الذي لا يمكن فعله في فضاء مفتوح وبذلك فانه حين يتموضع في الفضاء المغلق صحبة الأنثى ينفي الفضاء الخارجي ولا يستحضره ولو عبر التخيل وإنما يحي اللحظة بكل أبعادها مع الجسد الأنثوي ولا يتجاوز الفضاء المغلق إلى الخارج الذي يقترن بالعدوانية ، وما يمنح الجسد الأنثوي تميزه في الفضاء المغلق كون السارد يتجنب إدراجه في سياق الجاهد واللغة المباشرة ، في حين نجد الفضاءالمغلق يستحضر من خلال اللغة المباشرة والمجردة أو تتم الإشارة إليه إشارة عابرة أو يتم تغييبه فيستنتج من خلال الملفوظ . 1

– إن الفضاء المغلق بطبيعته الآمنة يمكن السارد من أن يكون أكثر قربا من المرأة ، كما أنه يمكنه من الإنفراد بها ، ورغم مرجعية المكان الواقعية فإن السارد حين يصطدم بتفاصيل

الجسد ينزاح عن اللغة المباشرة والحيادية التي يبئر من خلالها المكان ويبدي احتفاء ناصعًا

1- حورية الظل : المرجع السابق ، ص 109 .

به ، فيصوره عن طريق لغة مشحونة بألفاظ الجسد الدالة المعانقة للشعر والحلم ، ويمكن أن نشير إلى أن السارد يجعل الفضاء المغلق يبدو شاحبًا ومهمشًا ، والرؤية إليه عابرة ليعود إلى تشييد فضاء الجسد .

– وتهميش الفضاء المغلق في المحكي يؤكد القيمة الممنوحة للجسد الأنثوي ، حيث يكاد يغيب كل ما يحيط به من مؤثثات ويظل هو البؤرة التي تتركز عليها رؤية السارد ، فيصبح المكان مجرد وسيط يمكنه من التوحد بالجسد ووصفه في كماله ، كما أنه يستمد قيمته من تواجد الأنثى به.[1]

– حيث يعتبر الفضاء المغلق عتبة لولوج فضاء الجسد ويتضح ذلك من خلال المثال : " وبين شرشفيها تلمست دفئا في نهدها فذكرتها الحرارة الجسدية الباقية بمطر كان خارج الغرفة هاطلا وهي بين أحضاني أروى لها ، على تساقطاته المتلثمة " .[2]

يوضح هذا المثال تواجد فضاء الجسد داخل فضاء مغلق (بيت أحمد) (الغرفة) .

– والحال أن إحدى أهم وظائف الفضاء تتمثل قبل كل شيء وفي أغلب استعمالاته ، في التمكين لسير الأحداث ، فإن الأحداث تتولد عن علاقة السارد بفضاء الجسد في الفضاء المغلق ، ويتحكم الجسد من خلال الأوصاف الممنوحة له في سيرورة السرد .[3]

– وكذلك نجد فضاء الجسد الأنثوي داخل الفضاء المغلق (القبو) في مقطع آخر : " لكن هزني نزوع إلى اليوم الذي فيه أنزلت فلة إلى الطابق السفلي عبر أدراج الباب الداخلي خلال قيلولة فائظة وقلت لها أحضنها في غيهب الظل أعب حرارة أنفاسها : أنت الآن في

1- حورية الظل : المرجع السابق ، ص 111 .
2- الحبيب السائح : مذنبون ، ص 13
3- حورية الظل : الفضاء في الرواية العربية (الجديدة) ، ص 110 ..

القبو ذاته الذي تركه قارسيا مليئًا بالمعتقدات " 1.

– إن الإشارة إلى المكان في المثال الأول (الغرفة) وفي المثال الثاني (القبو) تبدو مقتضية وعامة ، لكنها تكتسب حميمية خاصة يُصعد مؤشرها الجسد الأنثوي المتواجد به حيث يملأ الزمان والمكان ويعمل على إثراء وملأالفضاء الكلي للنص الروائي .

– وينتقل السارد من وصف الفضاء الذي يعتبر فضاء متواصل بينه وبين المرأة أو الإشارة إليه ليركز رؤيته على الجسد من أجل نقل تفاصيله ودقائقه .

– أما في المثال التالي : " فسربت يدي إلى نهدها وضغطت حلمتها بين إصبعي فأغمضت على تلاشي زفرتها ، وهمست لها بين سكون القيلولة وعتمة القبو وحرارة جسدها ، قارسيا اختبأ حيث نضطجع قبل فراره نحو الميناء ومنه إلى فرنسا " 2.

نلاحظ أن السارد يستبيح مكامن الجمال في الجسد الأنثوي ، ويستحضره في كماله دون أن تعتريه ولو نقيصة ، فيتمظهر هذا الجسد من خلال فتنة المتأبدة التي تشع باستمرار .

– ويرتفع الفضاء المغلق بطبيعته الآمنة غير المهددة بمقدرة السارد الوصفية ودقة ملاحظته التي تلتفت لأدق دقائق الجسد الأنثوي من أجل استحضاره في المشهد ، وكذلك بمقدرته في نحت لغة شعرية ترتفع بهذا الجسد وتسمو به وبهذا استطاعت المرأة الموصوفة أن تغني الفضاء الذي تتواجد فيه وتثريه بحضورها وتفاصيل جسدها .

– وبهذا يكون الكاتب قد انزاح عن قوانين الرواية التقليدية التي احتفلت بالجسد المغلق والمسكو بالثياب ، لأن الأعضاء الأنثوية كانت تدخل ضمن المحرم والمسكوت عنه ، فكان يتم وصف ما تشي به الثياب من مظاهر الأنوثة دون الجرأة على وصف الأعضاء الأنثوية بطريقة مباشرة وإنما يتم وصف ما يظهر بطبيعته كالكف والوجه ، فجاءت الرواية الجديدة لترصد أعضاء الجسد العاري بطرق كتابية خاصة ، مثقلة بالمجاز والرمز ، فالكاتب يلجأ إلى وصف الأعضاء الأنثوية بدقة بالغة حيث يبدو احتفال الساردكبير بالجسد .

– ونجد في هذا المقطع يتواصل وصف الجسد دون وصف مؤنثات القبو : " وبرغم ذلك نهض في صدري الذكر الذي لا يقر بواسطة الكلمات بحبه لامرأة ، فأخذت نهدها وضغطت فتأوهت ، فأنزلتها أرضا متلثما جيدها إلى ما بين نهديها إلى سرتها " 1.

1- الحبيب السائح : مذنبون ، ص 79 .
2- المصدر نفسه ، ص 95 .

– لقد ركب السارد من خلال هذا المقطع وصفًا خاصًا للمرأة ، ولم يكتف بوصف عام له كما هو الأمر في الرواية التقليدية ، كما نجد في المثال التالي : حول أحمد و فلة في بيتها

– " فإنني كنت تحسست بيدي موضع الضربة وركزت أعصابي ثم دفعت بقواي دفعة واحدة فتلقى حائط الغرفة الداخلي ردة الباب فصاحت بفزع : شكون !مضيئت النور على شبحي ولم تسترجع نفسا لتصرخ ، كنت لملمت بيد على فمها : ششتت !ششتت ! وبيد ثبت وجهها المعصوف بالرعب في وجهي ، فدورت عينيها ووسعتها ثم عصرتها منثورة الشعر الأسود الكثيف تبدو كأن الصدمة زادت جبينها ندى وخديها توردا ! ... فتوقف رأسها عن الحركة ونبض بطنها فألصقت خدي الباردة بخدها فتهندت مذعنة " 2.

حيث أن السارد في هذا المقطع ركب أوصافا خاصة لوجه المرأة ولم يكتف بوصف عام له ، فيترك بذلك القارئ يركب هذه الأوصاف ، ليصل إلى الجمال غير المألوف الذي تتمتع به المرأة الموصوفة وزيادة منه في الرفع من قيمة تفاصيل وجه المرأة ، فإنه لم يتخذ لغة الحياد قانوناله ، وإنما انزاح عنها إلى لغة تطفح بذاتية الكاتب حيث تتضاف شاعرية خاصة إلى المشهد وتثريه .

– ومن هنا ، فإن الفضاء المغلق قد حضر في النص كسند لفضاء الجسد ، كما أنه حقق الأمان للذات فتمكنت من وصف فضاء الجسد وإن كانت السيادة تظل دائما لهذا الأخير ، وتأتي العناية بتفاصيل الجسد وتكثيف وجودها في الفضاء المغلق كنتيجة طبيعية لتوفير هذا الفضاء للحماية فيصبح بذلك السارد ملزما بلعب دور وظيفي يتمثل في اكتشافه فضاء الجسد الأنثوي ، ليصبح الجسد معبرا عن خلفية جمالية ومعرفية للكاتب يسعى من ورائها إلى رد الاعتبار للمرأة عن طريق صوغ تخييلي غير مألوف ، يبرز منزع التجديد عند الكاتب .

– كما أن وصف الجسد بتفاصيله في مكان مغلق يوفر له الحماية ويعتبر نوعا من الرد على الفضاء الخارجي الذي لا يحمل أي ود للسارد والشخصيات .

–يمكن ان نسجل من خلال تناولنا للفضاء المغلق وفضاء الجسد الانثوي الذي يتبار فيه،ان الاول كان مجرد ذريعة ومحققا للحماية والامان للسارد والمرأة،وظل هذا الفضاء

1- الحبيب السائح : مذنبون ، ص 82 .
2- المصدر نفسه ، ص 25 .

مرصودا في واقعيته في حين ارتفع بالاثني ليعبر من خلالها عن اشواقه ومواجيده وتوقه الي المطلق،في حين كان يبهت الفضاء المغلق ليصل الي درجة الانمحاء امام فضاء الجسد الانثوي الذي حظي باهتمام السارد فجعله يلامس المطلق،وبعد اطلاعنا علي الفضاءذي المرجعية الواقعية يفرض السؤال التالي نفسه:ماهي طرق تبنين الفضاء المتخيل في النص الروائي ؟وماهي الانزياحات التي حققها عن الرواية التقليدية علي مستوي الشكل والدلالة ؟وماهي الاختلافات التي حققها عن الفضاء ذو المرجعية الواقعية؟

ج / –الفضاء المتخيل:

–لقد عرفت الرواية التقليدية الفضاء ذو المرجعية الواقعية ويعمل علي ايجاد شبيهه في الواقع المرجعي ،الشيء الذي يجعله يهمش النص في حد ذاته،وينفي عنه شعريته الخاصة ،وكل ذلك ليوهم القارئ بواقعية مايعرض امامه ،لكن رغم ذلك يضل منتميا للنص الروائي.–فنجد في المقابل الفضاء المتخيل ينزاح عن الفضاء المرجعي،فابعاده ودلالاته الرمزية تحيل علي الواقع،ولاينفصل عن باقي مكونات النص،وانما يدخل معها في شبكة من العلاقات التي تكون البنية العامة للنص الروائي،وبذلك اصبحت الرواية الجديدة :"فضاءيتفجر فيه الخيال كما في الحلم وانه يمكن لها ان تحرر مما يبدوانه"لزام بالإلهام بالحقيقة لايمكن الفكاك منه ."[1]

–يتمثل المكان المتخيل بالمكان الاسطوري والاماكن غير المألوفة ولاسيما تلك التي تكون ماوي للأشباح فضلا عن الاضافات التي قد يضيفها الخيال الروائي علي الاماكن الواقعية فيخرجها من لحظات سردية معينه من واقعيتها ليدخلها في فضاء متخيل.[2]

–وينتفي البعد الهندسي في الفضاء المتخيل ويمتلك الطابع الذاتي،لأنه لايرصد كما هو في الواقع،وانما يستحضر من خلال التذكر والحلم والاسطورة والعجائبي،كما يغتني النص الروائي عن طريق الانزياحات علي مستوي الشكل الكتابي،حيث يعتمد لغة بديلة،تمتاح من الشعر،فيصبح المكان :"ماضيا تستدعيه الرواية او صورة مفترضة لما كان ينبغي ان

1- حورية الظل : الفضاء في الرواية العربية الجديدة ، ص130.
2- ينظر- محمد صابر عبيد، سوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي ، ص238.

يكون عليه المكان.[1]

–لان الفضاء المتخيل لايمكن احالته علي الواقع،فهو نابع عن الحلم والذكري وفرادسيس الطفولة المفقودة،حيث تطفح الرواية العربية الجديدة بالفضاءات المتخيلة مثل:البيت القديم،القلاع والمتاهات والسراديب والاقبية والمرايا،وغيرها من الفضاءات التي تمكن السارد من استعادة عوالم يعيش من خلالها مشاعر الالفة او الخوف او عكس مشاعر الذات،وتبنين بطرق كتابية تنزاح عن اللغة المباشرة الي لغة الشعر والاحلام والاستيهامات،ففي رواية(مذنبون)تجعل من المكان جوهرا اساسيا ينبع منه الحدث فان الذات الساردة لم تعد منفعلة فقط بهذا الفضاء،وانما فاعلة فيه،وقد تم ذلك من خلال جعل تفاصيل الفضاء المتخيل عبارة عن صورة نابعة من الحلم والذكري والاسطورة والزمن الطفولي.

وسوف ندرس في تحليلنا للفضاء المتخيل فضاء القبو كفضاء للألفة وللعجائبي .

1) – القـبو:

– يعتبر القبو فضاء روائيا بامتياز لأنه يعد فردوسا مفقودا،حيث يعود اليه الخيال باستمرار لكونه كان مركزا للحميمية والدفء، فكيف تم استحضار القبو في النص الروائي عن طريق احلام اليقظة والتذكر في رواية (مذنبون) ؟ وكيف تمت بنينته ؟ وماهي الإنزياحات التي حققها على مستوى البنية والدلالة ؟

– لقد عمد الكاتب إلى استحضار القبو في النص الروائي عن طريق التذكر و أحلام اليقظةحيث يجعله محملا بقيم الالفة والحماية،ويعتبر فضاءالقبو في رواية (مذنبون)فضاءا جاذبا للذات الساردة،حيث يمارس عليها تأثيراخاصا،يتمظهر عن طريق معاودة استحضاره في النص الي مالا نهاية،عبر الحلم والتذكر،وقد اوجد الحبيـــب السائـح القــبو

ايجادا فنيا عن طريق اللغة،وهي لغة الحلم والذكري لذلك تعتبر المقاطع التي يستحضرها من خلال هذه اللغة من اشد مقاطع الرواية حرارة وامعانا في تقصي دواخل السارد وخلجاته النفسية،لأنه اصبغ علي هذا القبو ذاتيته ،كما انه جاذب له،ونتيجة ذلك يعتبر " المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لايمكن ان يظل مكانا لامباليا ذا ابعاد هندسية وحسبّ "[2] فيصبح القبو

1- حورية الظل: الفضاء في الرواية العربية الجديدة ، ص104 .

1- غاستورباشلار : جماليات المكان، ترجمة غالب هالسا، بيروت ، مجد، ط4 ، 1996، ص 45.

متعالقا مع حالة السارد النفسية،لان مؤثثاته ومحيطه تتلون تبعا للتلونات التي تصيب دواخل الذات.

–لكن مايميز هذا الفضاء المستحضر من خلال رؤية ووعي الذات الساردة،كونه اصبح مصدرا للصور الشعرية والكابوسية،منزاحا بذلك عن الواقع لأننا في:كل البحوث المتعلقة بالخيال علينا ان نتخلي عن منطقة الحقائق الواقعية)[1]

–وكما اسلفنا الذكر ان فضاء القبو يحمل بعدين:فضاء للألفة وفضاء للعجائبي.

أولاً : قيم الالفة

–تتمظهر قيم الالفة في البيوت والحجرات التي سبق لنا ان سكناها في الماضي اوعشنا فيها لحظات جميلة، وابتعادنا عن فضاء الالفة او فقدنا اياه يجعلنا نستعيده باستمرار لان: " كل ركن وزاوية فيه كان مستقرا لاحلام اليقظة،وعاداتنا المتعلقة ،بحلم اليقظة قد اكتسب في ذلك المستقر"[2]،وبهذا فان السارد حين يستعيد في الرواية مكانا محملا بقيم الالفة،فانه يفتح بابا لحلم اليقظة فيضفي نتيجة ذلك فكره ومزاجه وعواطفه على المكان المستعاد،ولايتم ذلك الا عن طريق حلم اليقظة،فعندما يستعيد السارد القبو يستعيد باستمرار قيم الالفة التي عاشها فيه،فيجسدها من جديد من خلال حلم اليقظة والتذكر،ويعتبر القبو المكان الذي يعشقه ويصبو اليه وعي السارد(احمد)هذا الوعي الذي يجعل منه ومن القيم المحمل بها موضوعا له كقيم الالفة وبذلك يكون القبو مسهما في بنينة النص الروائي وسيرورة الاحداث،وتأسيسا علي ما سبق يفرض السؤال التالي نفسه:كيف تمظهرت قيم الالفة في القبو؟..

وكيف استطاع هذا الأخير أن يسهم في انجاز السرد ؟

– إن القبو كما يصوره الحبيب السائح في رواية (مذنبون) يتعذر امتلاكه مرة أخرى على مستوى الواقع ، ويعبر عن ذلك بقول : " لكن هزني نزوع إلى اليوم الذي فيه أنزلت قلة إلى الطابق السفلي عبر أدراج الباب الداخلي خلال قيلولة قائظة وقلت لها أحضنها في غيهب الظل أعب حرارة أنفاسها : أنت الآن في القبو ذاته الذي تركه قارسيا مليئًا بالمعتقات"1. من خلال هذا المقطع يسعى السارد جاهدا إلى إعادة امتلاك القبو عن طريق أحلام اليقظة ، حيث يصرح عن شوقه وحنينه إلى ذلك المكان وبذلك لا يحيلنا القبو على فضاء مرجعي ،

2- المرجع نفسه، ص 65.
3: المرحع نفسه ، ص 44.

وإنما على فضاء متخيل يجعل الرواية تتسم بشعرية خاصة ، حيث نجد الذات الساردة تعود إليه باستمرار من خلال الأحلام والتذكر ، الشيء الذي يثري المعنى الروائي ويجعله ينفتح على عوالم شاعرية يتملص عبرها من المعنى المباشر .

– كما أننا نجد السارد يتحدث عن القبو حيث يصور قيم الألفة التي عاشها فيه عبر التذكر والحلم فيقول : " لكني في زوال ذلك اليوم الذي انزلتها فيه إلى القبو وضغطتها إلى صدري فطاوعتني ، أيقنت أنها نسيت وجوه كثير من الرجال أمام وجهي الذي أخذته بين يديها وتلثمتني وقبلتني تتلظى شهوة " 2. حيث يصور السارد في هذا المقطع حنينه إلى الألفة والمحبة التي فقدها مع مرور الزمن زفقه فلة .

– ونجد في مقطع آخر أن السارد (أحمد) يصف مدى شوقه وحنينه إلى اللحظات الجميلة التي عاشها رفقة عشيقة فلة في القبو. فيقول : " فسربت يدي إلى نهدها وضغطت حلمتها بين إصبعي فأغمضت على تلاشي زفرتها ، وهمست لها بين سكون القيلولة وعتمة القبو وحرارة جسدها ، قارسيا اختبأ حيث نضطجع قبل فراره نحو الميناء ومنه إلى فرنسا " 3

– إضافة إلى تصوير مدى شوق وحنينه السارد (أحمد) لأيامه ولحظاته الجميلة يصور كذلك حالة السكون والهدوء الموجود في ذلك المكان والزمان أي وقت القيلولة في القبو، كما أنه يصف بعض أعضاء محبوبته فلة ، إنه فضاء لتحقيق الألفة والسكون المفتقدين في الخارج.

– كما نجد وصفا آخر لأعضاء جسد المرأة من طرف السارد في مكان القبو والتي تبعث فيه مشاعر الحب والألفة وذلك عبر الحلم والتذكر : "وبرغم ذلك نهض في صدري الذكر الذي لا يقر بواسطة الكلمات بحبه لامرأة ، فأخذت نهدها وضغطت ، فتأوهت ، فأنزلتها أرضًا متلثما جيدها إلى ما بين نهديها إلى سرتها "1. فالسارد يصف كذلك مناطق الجمال في المرأة إلى جانب حبه لهذه المرأة .

1-الحبيب السائح : مذنبون ، ص 79.
2- المصدر نفسه، ص 121.
3-المصدر نفسه ، ص 95.
(1) - الحبيب السائح : المرجع السابق ، ص82 .
(2) - المصدر نفسه ، ص 79 .

– تتميز رواية (مذنبون) بكونها تنجز سردها من خلال الفضاء، وبذلك تعتبر رواية" فضائية " وتأكيدًا لهذا الاتجاه نجد عودة السارد مستمرة لوصف فضاء القبو ومعاودة استحضار قيم الألفة التي كانت متحققة فيه يقول السارد : " فمسحت بنظراتها الفرحة على بصيص ما يتسرب من منافذ ضيقة حُفزت لاحقا ، كل ما رُتب من أثاث قديم وحديث ومن صناديق وأكياس وآلات نجارة صالحة أو معطلة ومن مقطع غيار وأكوام من الخشب ومن علب البرنيق والدهن وأشياء أخرى هنا وهناك ... فداعبت خدها بشفتي : بأشيائه كلها كما تعلمين "2. يظل السارد مستمرا في استحضار فضاء القبو حيث يعبر عن الفرحة والسعادة إلى جانب وصفه لمؤثثات القبو وطوبوغرافيته ، إنه وصف خاص لفضاء القبو والقيم الألفة المتمظهرة فيه، وهو يترجم تجربة الذات الساردة وطموحاتها وأعلامها ، وتنبثق أفضية الرواية كلها من هذه الرؤية التي تعرض من خلالها وجهة نظر السارد ، والتي نجدها تتراوح بين فضاء واقعي وفضاء متخيل .

– وبذلك يكون فقد السارد للألفة التي عاشها في القبو هي التي تدفعه إلى استمرار حنينه إليه واستعادته عبر حلم اليقظة، كما أن إدراك قيم الألفة الكامنة في المكان المفقود تمثل جوهر فكرته ويعتبر نوعا من الرد على الفقد المستمر.

– فإلى جانب أن القبو هو فضاء للألفة فهو كذلك فضاء للعجائبية .

ثانياً : عجائبـــية فضـــاء القـــبو :

– لكن سعي الحبيب السائح إلى تحقيق الانزياح عن المألوف يجعله يكون من نفس الفضاء مركزا للتناقض حيث ينتقل من تصوير قيم الألفة التي كان يزخر بها القبول إلى تصويره في عجائبيته .

– ويعرف تزفان تودوروف العجائب بقوله : " السر الخفي المستغلق عن التفسير " " اللامقبول " الذي يندس في الحياة الواقعية ، أو في العالم الواقعي أو كذلك في الشرعية اليومية التي لا تتبدل "1. وبما أن الفضاء العجائبي فضاء تخييلي ينفصل عن الواقع ويعتمد لغة بديلة .

– فيجعل الحبيب السائح فضاء القبو في روايته (مذنبون) يراوح بين قيم الألفة والعجائبية تحقيقا منه للتعارض والتقاطب في نفس الفضاء وذلك من أجل إغناء موضوعة القبو وإثرائها وجعلها وعاء لزوايا رؤية متعددة ومتنوعة وباعثة لجمالية خاصة في النص الروائي ، كما أن هذا العجائبي يعد وسيلة من وسائل عديدة ، توظف من أجل التعبير عن الذات وعن إكراهات الواقع ، وسنرى في إطار هذه الرؤية كيف يجلى الكاتب العجائبي فيقول السارد : " وخرجت من الحوش لأدخل القبو من بابه البراني فلفحتني برودة الفراغ . ونزلت حاشرا حواسي أسمع الصمت يتردد في أنفاسي على وقع خطواتي . وتلمست السرير على غشاوة فتوهمت شبح الموت نهض بفحيحه من الفراش البارد ثم أشعلت الضوء فظهرت على المائدة بقايا أكل وفوق كأس ورقة أخذتها وقربتها ثم قرأت أوفيت بما أقسمت عليه عند قبورهم ، لكني أشعر بألم كبير لأنني تسببت في شرخ لا يجبر " 2، هذا المقطع يوصل إلى ذروة الإدهاش بظهور الشبح وتموقعه في المكان أمام ناظري السارد ، حيث يؤكد تواجد مخلوقات عجائبية (شبح الموت) أضحت تحتل المكان وتشكل تحديد للسارد ، ويعتبر القبو عند باشلار " هو الهوية المظلمة للبيت ، هو الذي يشارك قوى العالم السفلي حياتها " 3.

– وما يمنح هذا الفضاء خصوصيته كونه استحضر في النص من خلال الوعي المحمول من قبل الذات الساردة ، حيث نجده يؤشر على "حدث" داخلي يتطور بتطور رغبات هذه الذات وأحلامها واستيهاماتها والاكراهات الممارسة عليها .

– ومن ثم فإن طريقة تبيين المقاطع النصية تجعلها منزاحة عن البنية السطحية والمجردة حيث تحمل في سيرورتها أبعادا رمزية ودلالية تسهم في بناء المعنى الروائي الذي يتعدل إلى العجائبية فيصبح المكان فارغا من محتواه ودالا على معاني جديدة ، فما يؤكد لنا تعدل النص إلى العجائبية هو العبارة البلاغية "توهمت" التي تؤشر على ذلك ، حيث تسعى إلى تفسير معاناة الذات في المكان وتفصح في نفس الوقت عن قيمة التعبير المنزاح عن المباشرة ، وتؤكد مساهمتها في دفع الذات والقارئ إلى عالم عجائبي يطبعه التردد .

1- الحبيب السائح : مذنبون ، ص95 .
2- حورية الظل : الفضاء في الرواية العربية الجديدة ، ص 152 .

–ومن هنا فإننا نسجل بأن الفضاء العجائبي قد تبنين بطريقة متدرجة ، فسار باتجاه الذروة مختطا طريقا تصاعديا ، وتتمظهر هذه الذروة في ظهور الشبح .

– كما اننا نرى رأي من خلال قول السارد وكيف تجلى العجائبي "فسربت يدي إلى نهدها وضغطت حلمتها بين إصبعي فأغمضت على تلاشي زفرتها ، وهمست لها بين سكون القيلولة وعتمة القبو وحرارة جسدها ، قارسيا اختبأ حيث نضطجع قبل فراره نحو الميناء ومنه إلى فرنسا " 1.

– لقد كان القبو يحمل الألفة للسارد الذي لايزال يستطيع تحديد مسالكهوطوبوغرافيته رغم الظلمة التي تعمه فكلمة (عتمة) تعتبر عتبة للعجائبي .

– وبهذا يصبح الفضاء العجائبي نوعًا من التعبير عن ذاتية السارد ومأساوية علاقته بالوجود خاصة وأن الواقع أصبح غير محتمل ولا يطاق أمام التهديد الذي أصبح محملا به فقد كان القبو فضاء للحماية والألفة والأمان ، فسار في خط إنحداري ليصبح فضاء مهددا وعدوانيا ومصدرا للكوابيس ، وهذا النـوع من التناول للمكان يجعل رواية (مذنبون) تبدو مصرة علـى تجاوز المألوف والبحث عن كل الأشكال الممكنة لتحقيق خصوصيتها وفرادتها حيث تتجنب استنساخ الواقع وتجعل العجائبي : " يقتحم العالم الخاضع لهيمنة العقل)2.

– من خلال تحليلنا لأشكال الفضاء في رواية (مذنبون) استطعنا الوقوف على الانزياحات التي حققتها الرواية الجزائرية الجديدة في تناولها لأشكال الفضاء ، حيث لم يعد الفضاء المخيل مجرد أشكال هندسية أو مؤطر للشخصيات و الأحداث ، و إنما أصبح طرقا لغوية ورؤى للعالم ، ومعرفة بالواقع من خلال الفن ، وقد أصبح الوقوف على مظاهره السطحية طريقة مبتذلة (لأن معناه يتمظهر عن طريق سبر أغواره وربطه بمكونات النص الأخرى)

– ورغم كون اللغة وطرق الكتابة هي المتحكمة في رؤيتنا لأشكال الفضاء ، وهي تحقق تمايزها وتناقضها وتداخلها ، فإن الإيديولوجية تظل حاضرة لأنها هي التي تفرض أشكال كتابية خاصة في استحضارها للفضاء سواء ذو المرجعية الواقعية أو الفضاء المتخيل .

– وقد تم استحضار أشكال الفضاء بطرق كتابية متباينة تتمثل في اللغة الحيادية والمجردة التي تم من خلالها تبئير الفضاء ذي المرجعية الواقعية الخارجي ، وتبدت حيادية السارد في

تشخيصه لهذا الفضاء وتشخيص الأشياء التي تحتله ، الشيء الذي ولد شكلا كتابيا خاصا ، كما أحال في بنيته العميقة على إدانة عدوانية هذا الفضاء فتم بذلك الانزياح به عن وظيفته الأصلية باعتباره فضاء للتنقل ليصبح فضاء للعدوانية والموت .

– أما الفضاء المغلق ذو المرجعية الواقعية ، فقد جاء في النص باهتا ولم يحضر إلا كحاضن لفضاء الجسد ، واستمد قيمته من تواجد الأنثى به كما استمدت الأنثى قيمتها من تواجدها به .

–وبالنسبة للفضاء المتخيل ، فقد تم استحضاره عن طريق أحلام اليقظة والكوابيس ، فحقق انزياحا عن الفضاء الواقعي وتم إنبناؤه من خلال اللغة الشعرية ، وقد تم استحضار هذه الأشكال الفضائية وتبئيرها من قبل الذات الساردة وليس من قبل الشخصيات وهي سمة تطبع جل الروايات الجديدة التي أصبح السارد فيها شخصية من الشخصيات .

– وبذلك يكون الفضاء قد أصبح عنصرا بنائيا في العمل الأدبي حيث يسهم في السيرورة السردية كما يحيل على أبعاد ودلالات خاصة.

الخاتمـة

الخاتمة :

لكي نفهم آفاق المغامرة التي ترتادها الرواية العربية الجديدة عملت على إعادة تفكيك رواية (مذنبون) من أجل القبض على إشكالية الفضاء التي تتناولها باعتبارها عنصرا مهيمنا فيها ،لأنه يُعتبر بنية في الرواية و يشكل دعامة أساسية في بناء الشخصية و الحدث و السيرورة السردية، فلم يعد الفضاء الروائي عند الحبيب السائح ، وعند كُتاب الرواية الجديدة مجرد إطار للأحداث ، و إنما أصبح مُسهما في بُنيَنَة المحكي و إغناء النص دلاليا و علامة دالة على التجديد و المغامرة التي ارتأت هذه الروايات ارتياد آفاقها.

– و قد وقفت من خلال التحليل الذي أنجزته على الصعوبة التي عرفها مصطلح" الفضاء" تنظيرا و ممارسة،و قد اقتضى هذا الأمر أن يتم تأطير البحث بمنهج الشعرية و السيميائية مع الخضوع لخصوصية الرواية المدروسة،كما استفدت مما جاء في هذا الباب من تنظيرات و استخدامات و مقاربات نقدية، حيث أخذت ما يخدم موضوعي و جعلته موضوعا يستحق الاهتمام و يتماشى و الرواية العربية الجديدة ، و رغم أن الفضاء لا يزال يعاني من الفقر النظري فقد حاولت أن أمارس على النص الروائي المدروس ما ينسجم و أسسه الجمالية و الفنية.

– و يتماشى الفضاء في رواية (مذنبون) مع الرؤية الحديثة للفضاء الروائي التي تنظر إليه في إطار تبنينه كمكون أساسي في النص الروائي أو كعنصر يسهم في بناء النص و يشكل المعنى ، و قد أصبح عنصرا بؤريا و أساسيا.

و نتيجة تبنين الفضاء الروائي كباقي المكونات الحكائية الأخرى في نص (مذنبون)، فقد أمكنني إجمال ذلك في النقاط التالية:

– الفضاء مكونا حكائيا – الفضاء علامة نصية – الفضاء عنصرا ، و تبدو هيمنة الفضاء في رواية (مذنبون) من خلال الأشكال الفضائية، و ما يمكن استنتاجه من دراستي للفضاء الروائي هو: منح الفضاء أهمية خاصة باعتباره عنصرا بنائيا و جماليا و محملا بدلالات خاصة، إلى جانب اعتبار الفضاء تقنية جمالية عبر اعتناء الكاتب بها في سعيه

إلى تشييد شعرية للمحكي الروائي العربي،حيث تعامل معه كجمالية و أشكال حكائية ، و ليس كإطارات للأحداث و الشخصيات ، إضافة إلى اعتبار طرق تشكيل الفضاء في الرواية بديلا جماليا عن العالم و تمردا على الأشكال التقليدية و مساهما في التجدد الذي عرفته الرواية العربية الجديدة، إلى جانب إسهام الفضاء الروائي في حركة التجديد التي عرفتها الرواية العربية التي كان الاهتمام بالفضاء فيها ناتجا عن التحولات التي عرفها الواقع و التاريخ.

– و إذا كان اهتمام النقد الغربي بالفضاء جاء استجابة لحضوره الذي أصبح طاغيا في الرواية الحديثة فإن النقد العربي لا يزال محتشما في تناوله لهذا المكون الروائي ،فجاءت مواكبة هذا الطموح متعثرة.

– و قد مكنتني هذه الدراسة من الوقوف على الإسهام الجمالي و المعرفي للرواية العربية الجديدة التي تمكنت من التخلص من قوانين الرواية التقليدية التي تعتمد على خطية السرد و جعل الفضاء مجرد إطار للأحداث و الشخصيات.

ملخـص:

إن موضوع بحثي هو "الفضاء في رواية مذنبون لون دمهم في كفي" للحبيب السائح، حيث ينتظم هذا البحث في ثلاثة فصول، أولها (ماهية الفضاء) عملت من خلاله على تناول نظري للفضاء الروائي، فتطرقت من خلاله إلى تحديد مفهوم(الفضاء – المكان)، و هما مصطلحان ظل يلفهما الالتباس في العديد من الدراسات ، و انتهيت إلى أن الفضاء أوسع من المكان، ثم انتقلت إلى أنواع الفضاء (نصي ،دلالي ،جغرافي) ثم بعد ذلك انتقلت إلى علاقة الفضاء بالوصف،حيث تعددت طرق وصف الفضاء في الرواية الجديدة ،فأصبحت الأحداث تتوالد و تتناسل من ثناياه،فأضحى منفتحا على تأويلات متعددة، بالإضافة إلى كونه مكن الرواية من الانفتاح على أجناس فنية كالسينما و التشكيل و العمارة ،فاستفاد من تقنياتها،أما فيما يتعلق بما جاءت به النظرية الغربية في تناولها للفضاء الروائي ، و كيف أصبح الفضاء مهيمنا في الرواية الغربية، وفرض على النقد الاهتمام به،و ركزت على بعض النماذج فيما جاؤوا به بخصوص الفضاء و هم : رولان بورنوف،هنري ميتران، شارل كريبل...

– ثم انتقلت إلى ما قال به النقد العربي بخصوص الفضاء الروائي،فحاولت ابراز مدى قدرة النقاد العرب على تمثل مفهوم الفضاء الروائي الذي لا يزال يعتريه اللبس حتى في النظرية الغربية ،ثم انتقلت إلى أهمية الفضاء في الرواية،أما فيما يتعلق بتجليات الفضاء في رواية مذنبون: فقسمتها إلى مكونات الفضاء الروائي و التي هي: الأثاث الموجود في مختلف الأماكن الموجودة في الرواية إلى جانب الطعام و الشراب ،حيث اكتشفت أن هذا العنصر إلى جانب عنصر الطبيعة و العمران،حيث حققت الأشياء استقلالها عن الإنسان و احتلت مركز الصدارة، و هُمشت الشخصية،أما فيما يخص أشكال الفضاء فقد اكتشفت ثلاث فضاءات: الفضاء ذو المرجعية الواقعية و الذي يضم الفضاء المفتوح و الفضاء المغلق ،حيث حاولت رصد ملامح التجديد في استحضار هذين الشكلين، و يتمحور هذا التجديد

على مستوى لغة الكتابة،لأن طرق تبئير الفضاء هي التي تمنح الرواية خصوصيتها،و رغم مرجعيته الواقعية يظل مرتبطا بالنص و بلغة الكتابة.

و قد حاولت اظهار مدى عدوانية الفضاء المفتوح و وُدية الفضاء المغلق،و من الفضاءات المفتوحة التي تناولتها : المقهى ، الشارع، الساحة، كما تناولت الفضاءات المغلقة و هي:

القبو، مقرالدرك، مشغل النجارة ، حيث تتمظهر خصوصيتها في احتوائها لفضاء آخر هو : الجسد الأنثوي ، و يبرز التميز في كون الفضاء المغلق يحتوي فضاء يسمو به الكاتب

إلى ملامسة المطلق ، الشيء الذي يولد تداخلا في طرق البئير و لغة الكتابة التي نجدها تتراوح بين الشعري و النثري الشيء الذي يثري الرواية جماليا و دلاليا، أما فيما يخص الفضاء المتخيل فقد كشفت الأبعاد الفنية لهذا الفضاء و الطرق الفنية التي تحقق له شاعريته و أبرزت كيف تستحضر الذات هذا الفضاء عن طريق الحلم و الذكرى و الكوابيس ، و استكشاف عوالم الوجود الخفي و العجائبية التي تُبعد الكتابة عن التطابق الحرفي مع ماهو واقعي ،حيث يصبح المُحتمل بديلا للحقيقة، ثم أنهيت البحث بخاتمة حرصت فيها على تسجيل أهم النتائج التي توصلت إليها سواء تعلق الأمر بخصوصية الفضاء في الرواية العربية الجديدة بصفة عامة أو بالرواية الجزائرية (و رواية مذنبون كأنموذج) بصفة خاصة ، ومدى تمثل الحبيب السائح للفضاء الروائي.

Summary:

-The subject of my research is "space in the novel are guilty of color blood in my hand" for Habib tourist, where organized this research in three chapters, the first of (what space) worked from which to eat my space novelist, Vtnolt from which to define the concept of (space - Location) , and two are under Afahma terms confusion in many of the studies, and finished to a wider space of the place, and then moved to the space types (text, semantic, Geographic) and then moved to a space describes the relationship, where there were many ways to describe the space in new novel , became events breed and breed of the folds, Vodhy open to interpretations multiple, in addition to being enabled novel of openness to the races art like cinema composition and architecture, benefiting from the technology, but with regard to brought by the theory of Western addressed Space novelist, and how space has become dominant in the Western novel, and the imposition of cash interest in him, and focused on some models came on space and they are: Roland Bornov, Henry Mitterrand, Charles Kraybill ...

- And then moved to what he said the Arab Monetary regarding novelist space, I tried to highlight the extent to which Arab critics to represent the concept of space novelist who is still marred confusion even in Western theory, then moved to the importance of space in the novel, Regarding Btglaat space in the novel guilty : Vksmtha to novelist and space components which are: furniture located in various places in the novel as well as food and drink, where I discovered that this element as well as the nature and construction, where things have achieved independence from the rights and occupied the center stage, and personal marginalized Regarding forms of space has discovered three spaces: a space of reference and realism which includes open space and closed space, where she tried to monitor the features of innovation in invoking the two forms, and this renewal centered at the

level of the writing language, because methods Tbir space is granted novel privacy, and although his authority realism remains linked to the text and the language of writing.

And have tried to show how aggressive open space and space friendly CSS, and open spaces that addressed: the cafe, street, square, enclosed spaces, also addressed are: Basement, Maqraldrick, the operator carpentry, where privacy appear to contain another space is: the female body and highlights excellence in the closed space that has its space transcends Writer To contact with the Absolute, the thing that generates an overlap in the ways of Albir and writing language that we find between poetry and prose thing that enriches the novel aesthetically and Tagged, Regarding space imagined has revealed dimensional art for this space and technical methods that achieve his poetic and highlighted how conjures self this space through the dream and anniversary and nightmares, and explore the worlds of existence hidden and miraculous, about writing about congruence literal with what is realistic, where it becomes possible substitute for the truth, and then terminated Find a conclusion made sure where to record the most important findings of whether This privacy space in the new Arab novel in general or the Algerian novel (and the novel are guilty as a model) in particular, and the extent to represent beloved the novelist space tourist.

قائمةالمصادر والمراجع:

المصادر:

1- ابن منظور الإفريقي:لسان العرب:(ج7)، دارالحديث،القاهرة

2-المنجد في اللغة والإعلام :دار المشرق،بيروت،ط4 2003

3- محمد الحسين الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس، المجلد20،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007

4- الحبيب السائح :رواية: مذنبون لون دمهم في كفي ،دار الحكمة للطباعة والنشر والترجمةوالتوزيع،ط1، 2008

المراجع:

1- أحمد زيادمحبك: متعة الرواية، دراسةنقدية متنوعة، دار المعرفة ،بيروت ،لبنان،ط1، 2005

2- أوريدةعبود:المكان في القصةالقصيرة الجزائرية الثورية،دراسة بنيوية لنفوس ثائرة،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،دط

3- إبراهيم عباس:الرواية المغاربية تشكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي،دار الرائد للكتاب،الجزائر ،ط1، 2005

4- إدريس بودیبة:الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار،منشوراتجامعةمنتوريدراسةنقدية قسنطينة،ط1

5- باشلارغاستون:جدليةالزمن،ترجمة خليل أحمد خليل،ديوانالمطبوعات الجزائرية للدراسات والنشر والتوزيع ،الجزائر،دط

باشلارغاستون:جماليةالمكان،ترجمةغالبهلساء ،بيروت مجد،ط4، 1996

6- حسن بحراوي:بنية الشكل الروائي الفضاء الزمن الحدث ،نشر المركز الثقافي العربي،بيروت،ط1990،1

7- حسن نجمي:شعريةالفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية،المركز الثقافي العربي،ط1، 2000

8- حورية الظل:الفصاء في الرواية العربية الجديدة(مخلوقات الأشواق الطائرة)،دارنينوى للدراسات والنشر والتوزيع،سوريا ،دمشق ،1432،2011

9- حميد لحميداني:بنيةالنص السردي من منظور النقد الأدبي،المركز الثقافي العربي،ط3، 2006

10 طاهر عبد مسلم:عبقرية الصورة والمكان التعبير والتأويل النقد،دار الشروق للنشر والتوزيع،عمان ،الأردن،ط1، 2002

11- محمد الماكري : الشكل والخطاب(مدخل لتحليل ظاهراتي)،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،ط1،كانون الثاني1991

12- محمد برادة:الرواية العربية واقع وافاق ،دار ابن رشد للطباعةوالنشر،ط1، 1981

محمد صابر عبيد،سوسنالبياني:جمال الذات التشكيل الروائي،دار الحوار للطباعةوالنشر والتوزيع ،سوريا اللاذقية،دط

13- محمد عزام:شعرية الخطاب السردي ،دراسة،منشوراتإتحاد الكتاب العرب،دمشق ،دط،2005

14- مخلوف عامر :الرواية والتحولات في الجزائر،دراسةنقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية،إتحاد الكتاب العرب،الأسد،2000

15- مراد عبد الرحمان مبروك:جيوبوليتيكا النص الأدبي(تضاريس الفضاء الروائي نموذجا)،دار الوفاء للدنيا والطباعة والنشر،ط1، . 2002

16- ميشال بيتور :بحوث في الرواية الجديدة،ترجمة فريد أنطونيوس،منشوراتعويدات، بيروت،باريس،ط2،1982 .

17- نادية بوشفرة:مباحث في السيميائيةالسردية،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،المدينةالجديدة،تيزي وزو ،دط،2008.

19- د/صبيحة عودة زعرب:غسانكنفاني،جماليات السرد في الخطاب الروائي،دار مجدولاي للنشر والتوزيع،ط1،2006،1426 .

20 صالح إبراهيم : الفضاء ولغة السردفي روايات عبد الرحمان منيف،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء المغرب،ط1، 2003.

21- عبد الرحمان الكردي:الراوي والنص القصصي،دار النشر .للجامعات،القاهرة،ط2، 1996.

22- عبد الملك مرتاض:نظرية النص الأدبي،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر ،دط،2007.

23- عبد الملك مرتاض:تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،ط4، 1995.

24- عبد القادر شرشار :الخطاب الأدبي وتحليل قضايا النص،إتحاد كتاب العرب،دمشق2006.

25- عمر عاشور (إبنالزيبان):البنية السردية عند الطيب صالح البنية المكانية والزمانية في موسم الهجرة إلى الشمال،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،دط،2010.

26- فتيحة كحلوش:الإنتشارالعربي،بيروت لبنان،ط1،2008 .

27- سعيد بن كراد:السيميائياتللتأويل،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء،ط1،2005 .

28- د/سمر روحي الفيصل:الروايةالعربية،البناءوالرؤيا،مقاربات نقدية من منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق،دط،2003.

29- سعيد يقطين:قال الراوي ،البنيات الحكائية في السيرة الشعبية،،المركز الثقافي العربي .،الدار البيضاء،ط1،1997 .

30- سعيد يقطين:تحليل الخطاب الروائي،،المركز الثقافي العربي ،بيروت،ط2، 1993.

31- سيزا أحمد قاسم:بناءالرواية،مطبعةالهيئة العامة المصرية للكتاب،ط1،.1985

32- وفاء ابراهيم:قراءات جمالية للابداع،هؤلاء ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة ،دط.

الرسائل والمجلات:

33- قرطبي خليفة:المدينة في الرواية الجزائرية العربية،رسالةماجيستير،جامعة الجزائر ،1995.

34- عبد الملك مرتاض:في نظرية الرواية،بحث في تقنيات السرد،مجلة عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة،شعبان،1419هـ ديسمبر كانون الأول،1998

35- ياسين النصير:الروايةوالمكان،الموسوعة الصغيرة 57،منشورات وزارة الثقافة والإعلام،1980.

فهرس الموضوعات

مقدمــة

❖ **الفصل الأول : ماهية الفضاء**

أ / - **تعريف الفضاء**.....05

1) - لغة.....05

2) - إصطلاحا.....05

ب / - أنواع الفضاء 09

1) - الفضاء الجغرافي 11

2) - الفضاء الدلالي 12

3) - الفضاء النصي.....14

4) - الفضاء منظورا أو رؤية.....15

ج / علاقة الفضاء بالوصف.....17

❖ **الفصل الثاني : إشكالية الفضاء**

أ / - الفضاء في الخطاب النقدي الغربي 19

ب/ - الفضاء في الخطاب النقدي العربي.....21

ج / - أهمية الفضاء.....23

❖ **الفصل الثالث : تجليات الفضاء في رواية مذنبون للحبيب السائح**

أ / - مكونات الفضاء.....27

1) - الأثاث.....28

2) - الطعام والشراب.....32

3) - الطبيعة والعمران.....34

ب / - الفضاء ذو المرجعية الواقعية.....38

1) - الفضاء المفتوح.....38

أولاً : المقهى 39

ثانيا : الشارع.....40

2) - الفضاء المغلق.....44

ج / - الفضاء المتخيل.....52

1) - القبو.....53

أولاً : قيم الألفة.....54

ثانياً : عجائبية فضاء القبو..... 57

❖ **الخاتمة**

❖ **الملخص**

❖ **قائمة المصادر والمراجع**